www.alharmal.com
السنة الأولى / العدد الرابع والعشرون / 15 أيلول 2015
الحرمل
sayı 24 AL harmal
الحريـة دائمـاً
Her Daim Özgürlük
Alharmal Dergisi
Kültür - Siyasi - 15 günde bir ★ ★ ★ ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين

إفتتاحية العدد

الهجرة من الاستبداد إلى الحرية

ماجد رشيد العويد

لا نبالغ إذا قلنا إن كثيراً من الروح يتخلل رحلة هؤلاء المهاجرين بالملايين، وإنها في جانب من جوانبها هجرة من الشرك إلى الإيمان بلغة ذات طابع ديني تاريخي. يمكننا القول كذلك إن الاستبداد الحالي ساهم في إعادة إنتاج الحركات السفلية المتطرفة المتحدثة باسم الدين، والتي تعتبر استمراراً لحركات مثل الخوارج أذاقت الناس في زمنها ما تذيقهم إياه حركات التطرف اليوم، وفي الهيئة الطائفية الرثة، من ويلات ومآس. مكمن الخطورة هنا إنتاج نوع من المصل القاتل لتطلعات الحرية وحقوق الإنسان. رأينا هذا في العراق واليمن، ونراه في صورة شديدة القتامة في سورية. ثمة أمر تجدر الإشارة إليه، فالاستبداد في هيئته العربية يمكن وصفه أيضاً ليس بالمتوحش فحسب، وإنما هو استبداد عفن لا يبني دولاً، وليس بعض همّه منازعة الدول القوية والعريقة في إنتاجها للحرية وحقوق الإنسان كما كان الحال مع ستالين على سبيل المثال. هو بكلمة: استبداد يبني مجد فرد متسلط يمثله تمثال مفرّغ، وعند أول احتجاج يتساقط ما ظنه المجرم بناءً غير قابل للهدم.

من هنا يمكن القول أيضاً عن الهجرة إنها هجرة من التمكين الطائفي إلى رحاب إنسانية مطلقة تحقق للمهاجر بشريته وإنسانيته ويعيش رفاهيته ضمن المتوفر، وهي كذلك خلاص تام له من منطق العبادة الملوث إلى إمكانية الاختيار الحر في أن يعبد أو لا يعبد، وبالتأكيد سوف يعيش حريته التامة وإدراكه التام في أن من كان يحكمه مجرد فرد مجرم أحمق مجنون، وأن الطاعة التي بذلها له كانت بفعل خوفه العميق الذي سيتحرر منه أيضاً.

في الهجرة ثمة جوانب أخرى لن نغفلها من مثل اكتشاف العالم المتمدن والتعرف عليه، وعلى نوع الحياة القائمة بين ظهرانيه، والمساهمة لاحقاً في بنائه، والاندماج فيه وإنتاج نسل يفيد مع الأيام البلد الطارد والبلد المستقبل.

في الهجرة أكثر من الخوف من الحرب، وإن كانت الحرب السبب الرئيسي لها، ولكنها تغدو هدفاً يخرج الكامن في النفس إلى العلن، وأما الهدف فتلك الأرض الثابتة التي تخلصت من أمراض الحرب بأشكالها كلها بما فيها ذلك الشكل القذر من الحرب الطائفية، هنا يمكن تلبية الرغبات المتراكمة عند المهاجر، وخصوصاً السوري في حياة مستقرة.

ويبقى السؤال هل من خوف على البلاد الطاردة التي تخسر أبناءها؟ ولعلي أجيب أنه لا خوف فتاريخ العالم كان وما زال وسيبقى قائماً، وفيه هذا الرحيل المستمر، وتكون الحرب، فقط، أحد أسبابه، باتجاه خلق الإنسان السوي الذي يراد له، ومنه أن يحكم العالم على نحو عادل.

هذا هو حال الأفكار والمشاعر والأحاسيس، وهذا هو حال الإنسان المنتج لها.

درعا مهد الثورة.. ترتوي من الآبار الزراعية دون مراقبة صحية

المفكر القلق «2» «تعقيباً على حوار المفكر السوري د. طيب تيزيني»

نحن بحاجة إلى الإمام الفعّال.. لا القوّال

من أين يأتي النظام بغاز الكلور..؟!
حقائق عن استخدام غاز الكلور ضد المدنيين

من أين يأتي النظام بغاز الكلور..؟!

حقائق عن استخدام غاز الكلور ضد المدنيين

يعرب الدالي - الحرمل

على مرّ سنوات الثورة السورية تفنن نظام بشار الأسد في قتل السوريين الذين خرجوا ضده مطالبين بأبسط حقوقهم في الحرية والعيش الكريم وتحقيق العدالة الاجتماعية، واستعمل ضدهم مختلف الأسلحة من الرصاص الحي وحتى الطائرات الحربية وأيضاً الأسلحة الكيميائية وأبرزها غاز الكلور السام الذي استعمله في أكثر من موقع ضد السكان المدنين أو ضد الثوار المسلحين على جبهات القتال.

غاز الكلور ليس سلاحاً تقليدياً يمكن لأي دولة امتلاكه بسهولة، لذلك بدأنا نبحث من أين يأتي النظام السوري بغاز الكلور؟ وماذا يسبب من أذى عند استعماله؟

غاز الكلور يتسبب في خفض درجة حرارة صدر الإنسان حتى 30 تحت الصفر إذا ما استنشقه في حالته المركبة حيث ينتشر مع الهواء على شكل غمامة صفراء اللون ترتفع مسافة متر تقريباً عن سطح الأرض وتتفاوت معدلات الارتفاع حسب درجة حرارة الأرض، وإذا لامست المادة باليد يبقى أثر سائل على يديك، ويمكن إزالة آثارها من جسم الإنسان من خلال شرب مادة الحليب، وعندها يُفرغ الإنسان ما في جوفه، ويزول مفعول الغاز.

بعد بحث في أروقة سوريا الصناعية وسؤال الكثيرين من عسكريين ومدنيين وتجار وسياسيين تمكنا من الوصول إلى أشخاص يعملون في هذا المجال ووافونا بشهاداتهم حول هذا الموضوع لنضع الآن بين يديكم ما وصلنا إليه من حقائق، وأيضاً لنضعها شهادة حق بين يدي المسؤولين في دول العالم، علّهم يجنبوا الشعب السوري خطر هذا السلاح الفتاك.

محمود حلاق ابن مدينة حلب خريج معهد تجارة واقتصاد يعمل في قسم التجارة الخارجية في الشركة السورية السعودية للكيميائيات (سيساكو) مقرها شرق حلب شمال سوريا في منطقة كويرس في قرية تعرف بالوديعة الواقعة على الطريق الدولي الذي يصل حلب بالرقة.

يقول في شهادته حول الموضوع: أثناء عملي في الشركة السورية السعودية للكيميائيات «سيساكو» الموجودة شرق حلب في منطقة كويرس، والتي تعتبر الأولى من نوعها في سوريا، والثانية في الشرق الأوسط بعد الشركة الألمانية الموجودة في الكويت والأردن من حيث الصناعات الكيميائية التي تعتمد على مادة الملح في استخراج مركبات كيميائية ومنها غاز الكلور، وتعود ملكية شركة سيساكو إلى «أبو عمار الصباغ»، أحد أبرز رجال الأعمال السوريين في حلب، والدكتور محمود فرزات من أغنياء حمص وعموم سوريا بالإضافة إلى الشيخ السهلي من المستثمرين السعوديين في سوريا.

ويتابع: كنا نستورد مادة الملح من الأردن أو من الملاحات في تدمر لنستخرج منها مشتقات كيميائية من بينها غاز الكلور السام، كانت القدرة الإنتاجية للشركة تقدر بآلاف الليترات يومياً، وتتفاوت كمية الإنتاج حسب العرض والطلب في السوق، يتم تعبئتها في أسطوانات خاصة صفراء اللون معدة لحفظها خوفاً من التسريب، وكانت أهم نقاط التصدير الحصول على موافقات أمنية ليتم تصديرها وبيعها إلى معامل الدفاع في الأردن والعراق وسوريا مع جهل المصدر المرسلة إليه هذه المادة في الدول الأخيرة، كون التصدير يتم من خلال وسائط تجاريين بصفقات تبادل حصراً، فيما كانت ترسل إلى معامل الدفاع والبحوث في حماة ودمشق من خلال وزارة الصناعة بصفقات خاصة لا يتم الإعلان عنها أبداً. يستعمل غاز الكلور لأغراض إنسانية أهمها غسيل أنابيب النفط الضخمة والمسابح الكبيرة نظراً لقدرة الغاز على جعل الماء يفور بطريقة تساعد على إزالة الشوائب، وقوع حوادث غير مقصودة، لقد تحدثنا عن ذلك منذ بداية الأعمال التي يقوم بها هذا التحالف بقيادة زملائنا الأميركيين»، مضيفاً «ما زلنا نناشد أعضاء التحالف أن يبدؤوا التعاون مع الحكومة والجيش السوري».

وشدد على أن بلاده ستواصل تزويد الرئيس السوري بشار الأسد بالسلاح لمساعدة قواته المسلحة على التصدي لتنظيم داعش.

وتابع قائلاً في مؤتمر صحفي «فيما يتعلق بالتدريبات في البحر الأبيض المتوسط سأقول من البداية إن لدي معلومات حول جدولها الزمني، ولكن من المعروف جيداً أن قواتنا البحرية تقوم بها على أساس منتظم، وتجرى هذه التدريبات بما يتماشى بشكل كامل مع قواعد القانون الدولي».

وأشار إلى أن البنتاغون أوقف التعاون في العمليات مع الجيش الروسي، لكن هذا التعاون ينبغي استئنافه نظراً لأن الجيشين الأميركي والروسي يعملان في سوريا.

وتوجد في سوريا قاعدة عسكرية للروس في طرطوس المطلة على البحر المتوسط، وقد سجل في الأشهر الأخيرة تزايداً في أعداد الجنود الروس في سوريا، وخاصة في الساحل، على خلفية تمكن المعارضة من

ففي إحدى المرات رافقت سيارات الشركة إلى مسبح الباسل في دير الزور، وقاموا بوضع عبوة صغيرة من غاز الكلور في المسبح الذي يتجاوز طوله 200 متر، وبعد ثوانٍ قليلة بدأ المسبح بالغليان، وكأنك أوقدت ناراً في أسفله، وإذا لمست الماء وجدته بارداً جداً في صورة كيميائية مذهلة.

هذا كان حديث محمود حلاق لنا عن أحد مصادر صناعة الكلور في سوريا، حيث يتم في شركة صناعية كانت قوات النظام تستغلها، أما عن كيفية استغلالها وأغراض استخدامها، فقد التقينا محمد الجابري وهو مستثمر متوسط رأس المال يعمل في التجارة الحرة، حيث كان يشتري البضائع من المعامل في حلب ويبيعها إلى مستهلكين في عموم سوريا ومن بين ما تاجر به هو مادة الكلور، حيث أخبرنا بأنه كان يشتري شهريا من 20 إلى 50 أسطوانة ينقلها من حلب إلى دمشق، ويبيعها إلى المعامل الضخمة التي تستعمل الكلور في تنظيف الأنابيب الضخمة من خلال إزالة الشوائب منها.

لكن خلال دخوله وخروجه إلى الشركة السورية السعودية، وخلال عمله في بيع الكلور اكتشف أن قسماً منها يذهب إلى معمل الدفاع في ريف حماة الجنوبي، ومعامل البحوث العلمية العسكرية في منطقة الدريج بدمشق، وكانت تنقل إليه من خلال شركات نقل بري مثل سيارت فهد الفهد والثور والسورية للنقل.

أما عن مصير غاز الكلور عند وصوله إلى القطع العسكرية السابقة الذكر فقد وصلنا إلى عسكري مجند أنهى خدمته العسكرية في عام 2009 وكان يخدم في منطقة الدريج في دمشق وأخبرنا عن مصير غاز الكلور، قائلاً: كان يقوم باستلام هذه المواد في منطقة الدريج ملازم أول (إبراهيم بدور)، بالرغم من أنه كان برتبة ملازم إلا أنه كان يصول ويجول أكثر من لواء، خصوصاً وأن زوجته مهندسة كيميائية في منطقة الدريج ومقربة من الرئيس السوري، وكان يشرف على استلام الغاز الذي يأتينا في أسطوانات صفراء خاصة، كنا نقوم بإدخال الأسطوانات حتى نقطة معينة بالقرب من مخبر الأبحاث، ولا يسمح لنا بالدخول إليه،

فهذا المخبر له فريق مختص من الخبراء والمختصين الكيميائيين، كانوا يعملون بشكل يومي في هذا القسم كموظفين مدنيين، وكنا نشرف على نقلهم من المنطقة إلى منازلهم وحركتهم داخل المبنى، لكن ممنوع علينا دخول المخبر. إلا أنني كنت أسمعهم يتحدثون خلال نقلهم للمواد عن حالات اختناق بينهم، أو تسرب للغاز أثناء عملهم، أي أنهم كانوا لا يستعملونه مباشرة وإنما يستغلوه لأمر آخر ويقومون بتطويره.

هذه شهادات جمعناها من أشخاص حول غاز الكلور، ومن أين يأتي وأين يذهب حتى يصل إلى النظام السوري ولم نتمكن من دخول المختبرات أو معرفة مصير الغاز بعد ذالك لكن رأينا مفعوله عندما استعمله على المدنين في صورة لا تبرئ النظام أبداً.

طبعا نحن أثناء تحقيقنا زرنا الشركة السورية السعودية في حلب، والشركة حالياً تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» وقت جاءت في مطلع 2013 وفرضت سيطرتها عليها بعد طرد جبهة النصرة منها وفصائل أخرى منها الفاروق الإسلامي ولواء التوحيد الذين كانوا قد دخلوا في خلاف بينهم من أجل السيطرة على الشركة طمعاً بما تحتويه وبسبب قربها من مطار كويرس العسكري، وقامت بطرد عمال الشركة والإبقاء على أخصائي قسم الكلور، نظراً لأهميتهم في الحفاظ على المادة من خلال صيانة القسم وإبقائه في حالة إقلاع دائم خوفاً من التسريب وحدوث كارثة بيئية، خاصة وأن خزان الشركة يحتوي حينها ستة آلاف ليتر من الغاز اذا ما حصل تسريب ينذر بكارثة بيئية قد تبيد كل من منطقة منبج والباب في شمالي شرق حلب.

في الشركة التقينا أحد عمال قسم الغاز الذين أبقى التنظيم عليهم وأخبرنا أنه أثناء حادثة خان العسل المعروفة والتي تم استهدافها بغاز الكلور قام التنظيم بأخذ كميات من المادة قبل العملية بأسبوع، وبعدها تمت عملية استهداف خان العسل بالمادة، طبعاً لا أعلم جازماً إذا كان التنظيم من نفذ العملية لكن سمعنا أنهم زودوا صواريخ غراد بأسطوانات كلور، واستهدفوا الحي بها من منطقة جسر النيرب القريب من الشركة والحي معاً، والأمير كان حينها «أبو القعقاع التونسي» المعروف بالسفاح، والذي سبق له وأن استخدم الكلور في حادثة معروفة داخل الشركة عندما أعدم عشرة جنود من قوات النظام، كان قد أسرهم من فرع سياسية دير حافر القريبة، وقام بخنقهم بغاز الكلور داخل إحدى الغرف بالشركة، علماً أنه عندما كان يحدث تسريب ويستنشق الغاز أحدهم نكتفي بإعطائه جرعات من الحليب ليفرغ ما في جوفه ويزول مفعول الغاز.

هجوم الثوار على دمشق يفشل فكرة الدويلة العلوية .. التدخل الروسي احتلال استعماري جديد لسورية

الحرمل - دمشق

تشهد الأوضاع الميدانية في سوريا مزيداً من التعقيد، على ضوء دخول روسيا على الخط بقوة خاصة في منطقة الساحل، فيما تستمر إيران في قيادة دفة الأمور ابتداء من العاصمة دمشق وصولاً إلى الحدود مع لبنان، في توزيع واضح للأدوار بين الدولتين بعد الإنهاك الواضح على الجيش النظامي وعجزه عن السيطرة على مجريات الأمور.

وتشير كافة الجهات المراقبة إلى تورط روسي مباشر في سورية بعد أن كان التورط سابقاً مقتصراً على الدعم بالأسلحة وبالفيتو والعلاقات الدبلوماسية، مما يطيل في فترة الصراع الذي يحصد أرواح الآلاف من السوريين. ولكنه سينتهي حتماً بهزيمة للمحتل الروسي كما المحتل الايراني الذي أرهق بالحرب في سورية ودمر حليفه حزب الله عسكرياً وأخلاقياً في تورطه في الدم السوري.

ودعا وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف إلى ضرورة التنسيق بين الجيش الروسي ووزارة الدفاع الأمريكية لتفادي وقوع «حوادث عارضة» في سوريا.

وقال لافروف في مؤتمر صحفي عقب اجتماع مع نظيره المنغولي لونديج بورفسورين «التنسيق مهم أيضاً لتجنب السيطرة على محافظة إدلب واقترابهم من اللاذقية التي تتركز فيها المصالح الاستراتيجية الروسية.

وقد بدا واضحاً لمتتبعي التطورات في سوريا أن روسيا ورغم الضغوط الأميركية لن تقدم على خطوة التخفيف من حضورها هناك، على العكس فهناك توجه روسي واضح لزيادة عناصرهم في هذا الشطر لإدراكهم بعجز النظام عن مجاراة الحرب هناك والتي تكاد تشرف على عامها الخامس.

وتعد هذه الخطوة الروسية ضرورية بالنسبة لها لأنه بسيطرة المعارضة على هذا الشطر ينتفي الوجود الروسي على البحر الأبيض المتوسط.

ويقول خبراء إن التحرك الروسي يتم وفق خطط مدروسة مع إيران، حيث تشرف موسكو على منطقة الساحل فيما دمشق العاصمة مروراً بحمص وصولاً إلى الحدود اللبنانية تكون بيد طهران، التي كثفت في الأشهر الأخيرة من عملياتها المنهجة لتهجير أهل السنة في هذه المناطق.

وصرح الصحفي عمر الشيخ إبراهيم، عضو المجلس الوطني السوري، «إن عملية التهجير الطائفي في دمشق عملية منظمة بدأت منذ ثلاث سنوات في حمص، امتدت لاحقاً إلى المناطق الجنوبية».

وبدأ جيش الإسلام المتمركز قرب دمشق التحرك عسكرياً بعد هدوء استمر لأشهر في محاولة لإسقاط هذه المخططات في دمشق. واقتحم جيش الإسلام الجمعة، سجن عدرا الأكبر في سوريا والواقع قرب دمشق وسط معارك عنيفة مستمرة مع قوات النظام. وحول هذه المعركة وأهميتها، يؤكد الخبير العسكري والاستراتيجي أحمد رحال، أن فصائل المعارضة ستكسب كثيراً إذا ما واصلت تقدّمها، ملخّصاً ذلك بثلاث نقاط رئيسية، أولها أن المعارضة ستدق مساراً مهمّاً في نعش الدويلة العلوية التي يجري الحديث عنها، والثانية تكمن في نجاح الفصائل بربط الغوطة الشرقية بالقلمون وفك الحصار عن الغوطة، والثالثة تتمحور في أن هذه المعركة ستخفف الضغط بلا شك عن مدينة الزبداني»، خصوصاً في ظل الحديث عن سحب النظام لبعض وحداته العسكرية من هناك نحو جبهات الغوطة. ويشير رحال إلى أن «قطع الأوتوستراد الدولي الذي يصل العاصمة بحمص وحماه والساحل، يعني محاصرة النظام داخل دمشق، التي لا منفذ لخارجها وفق الظروف الحالية إلا نحو لبنان».

احصاءات اللاجئين السوريين.. لمن يتعامى عن دعم السوريين وحل أزمتهم الخانقة

وكالات

بلغ إجمالي عدد اللاجئين السوريين في دول الجوار 4,088,099 لاجئ حتى تاريخ 6 أيلول\سبتمبر 2015

تحتاج الأمم المتحدة لتغطية نفقاتهم $4,533,248,258 دولار يوجد عجز بنسبة 63%

بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجلين رسمياً في تركيا 1,938,999 لاجئ حتى تاريخ 2015\8\25

تحتاج الأمم المتحدة لتغطية نفقاتهم $624,089,475 دولار يوجد عجز بنسبة 70%

بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجلين رسمياً في لبنان 1,113,941 لاجئ حتى تاريخ 2015\8\25

تحتاج الأمم المتحدة لتغطية نفقاتهم $1,973,915,014 دولار يوجد عجز بنسبة 65%

بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجلين رسمياً في الأردن 629,266 لاجئ حتى تاريخ 6 أيلول\سبتمبر 2015

تحتاج الأمم المتحدة لتغطية نفقاتهم $1,191,392,175 دولار يوجد عجز بنسبة 61%

بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجلين رسمياً في العراق 249,463 لاجئ حتى تاريخ 2015\8\29

تحتاج الأمم المتحدة لتغطية نفقاتهم $426,041,332 دولار يوجد عجز بنسبة 66%

بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجلين رسمياً في مصر 132,375 لاجئ حتى تاريخ 2015\7\5

تحتاج الأمم المتحدة لتغطية نفقاتهم $189,581,596 دولار يوجد عجز بنسبة 77%

جامع الجسر أيقونة الثورة السلمية

شام عبد الله

ما زلتُ أذكر رقصاتهم واحتفالاتهم أمام ساحته الكبيرة، وحول (شجرة الشهداء) عند اقتحام الزبداني في الـ 2012.. كان مرادهم الوصول إلى هذه النقطة التي قضّت مضاجعهم وتحدّت طغيانهم، وكسرت حاجز الصمت...

منه انطلقت المظاهرات المطالبة بالحرية، منه زفت الزبداني أوائل شهداء الكرامة والسلمية، منه صدحت الله أكبر على الطغاة في براعم الثورة الأولى، ومن لا يعرفه؟!

لم يدّمروه عن عبث، بل هم يعلمون تمام المعرفة مدى رمزيته وأهميته بالنسبة لأهالي الزبداني، سقطت مئذنة جامع الجسر الكبير شهيدةً في 8-8-2015 على أيدي عصابات الأسد وميليشيا حزب الله الإرهابي في حملة التطهير العِرقي لمدينة الزبداني الصامدة، محاولين بذلك طمس معالمها الحضارية التي حماها أهلها، إسلام ومسيحيون عبر قرون مضت، ويعتبر هذا المسجد من أهم المعالم الأثرية في المدينة، يعود بناؤه إلى ما قبل 500 عام حسب تقديرات كبار السن في المنطقة، حيث بُني على أنقاض دير قديم يسمى «دير مار الياس»، ورُمّم بعدها عدة مرات محافظاً على شكله الأساسي، وللمسجد أهمية كبيرة لدى السكان لقدمه ووقوعه في وسط المدينة، وأمامه ساحة كبيرة جعلته نقطة علام، واكتسب أهمية أكبر بعد انطلاق أولى مظاهرات الزبداني منه كما المسجد العمري في درعا مع وجود الشبه الكبير بين المسجدين من حيث البناء والقدم والتصميم المعماري. أرادوا بتدميره كسر شوكتنا، وأرادوا قهرنا، لكنّهم لم يعرفوا بعد ما هي الإرادة التي تسكننا، والإيمان الذي يحكمنا..

كثيرٌ منّا رثوه وكأنه أغلى ما ملك يوماً، وأروع ما كتب فيه كان لابن الزبداني محمد التيناوي قصيدةً بسيطة شرح مدى تعلقنا به وعشقنا له، قصيدة شرحت مكانة هذا المسجد في قلب كلٍّ منّا قال فيها:

«يا جسر ضيعتنا صمودك زادني
قوة وصلابة ومن حجارك شادني
حامل عـ كتفك جامع بعمر الوجود
عمّر سنينو فوق بعضن (مادني)
الجامع استشهد... وابتدا عمر الخلود
ويا (مادني) وقعتي بلا ما تهادني
وضليت يا جسر الوفا تنزف ورود
بسمة شهيدك عـ السّما تقتادني
وعـ رقبتك يا ما مرق سعد السعود
تحمم بعطرك من عبيرك فادني
وحلفت ما يدعس على ضهرك حقود
عطر الدني من غبرة حجار الصمود
فاحت بطولة من خطى (لزبادني)»

وختاماً.. حتى وإن دُمّر جامع الجسر، وتبعثرت حجارة مئذنته، سيبقى أيقونة الثورة في الزبداني، وفي نفس كل زبدانيّ حرّ سيبقى يصدح بداخله حتى تتحرر سوريا، وينجلي النهار، وينهزم الطغاة عن أرضها، وفي كل منّا مئذنته الشامخة محفوظة توقظنا إن غفونا عن الجهاد وتذكرنا «أنا شهيدة الزبداني الأبية فلا تنسوني».

درعا مهد الثورة.. ترتوي من الآبار الزراعية دون مراقبة صحية

درعا - سارة الحوراني

تتواصل أزمة انقطاع شبكة المياه الرئيسية عن الأحياء الخاضعة لقوات المعارضة في مدينة درعا جنوب سوريا «درعا البلد وطريق السد ومخيم درعا» للشهر الثاني على التوالي، وتزامن ذلك مع ضرب العاصفة الرملية للمنطقة، وارتفاع كبير لدرجات الحرارة تجاوز 35 درجة مئوية، ما زاد من الأعباء الصحية والمعيشية على الأهالي في تلك الأحياء الذين أرهقهم القصف اليومي وشُرِدت أعداد كبيرة منهم إلى الحقول والمزارع المجاورة.

«بدأت معاناة الأهالي من انقطاع المياه عندما استهدفت قوات النظام بالبراميل المتفجرة الطريق الواصل بين منطقة الضاحية وبلدة اليادودة، والتي تعتبر خط اشتباك بين قوات الأسد من جهة وقوات المعارضة السورية من جهة أخرى، ما أسفر عن كسر خط الدفع الرئيسي القادم من بحيرة المزيريب في ريف درعا الغربي، والذي يقوم بتغذية أحياء مدينة درعا» وفقاً للمهندس جمال عياش مسؤول مديرية المياه لدى الحكومة المؤقتة في مدينة درعا.

وأضاف العياش إنه «تم إصلاح الأضرار بعد عملية تفاوض بين طرفي الاقتتال النظام السوري من جهة وفصائل الجيش الحر المرابطة بالقرب من مكان العطل من جهة أخرى، حيث أسفرت تلك المفاوضات عن قيام ورشة المياه المرسلة من قبل النظام، بإصلاح الخط المتضرر ولتعاد بعدها عملية الضخ من محطة مياه المزيريب إلى أحياء مدينة درعا الخاضعة لسيطرة قوات الأسد، فيما بقيت الأحياء الخاضعة لسيطرة قوات المعارضة دون مياه جراء انقطاع التيار الكهربائي وانعدام مادة الديزل لتشغيل محطة الضخ بدلاً عن التيار الكهربائي.

وأشار مسؤول المياه في الحكومة السورية المؤقتة إلى أن «المشكلة الأساسية لمياه الشرب تتمثل بسببين رئيسيين الأول فني ويكمن في توقف العديد من مصادر مياه الشرب الرئيسية العائدة لمؤسسة مياه الشرب والصرف الصحي بدرعا بشكل كامل أو جزئي؛ جراء انقطاع التيار الكهربائي بشكل متواصل ولفترات طويلة أحياناً، كذلك تعطل أجزاء من مكونات منظومة مياه الشرب (خطوط دفع أو محطات ضخ أو الآبار)، وصعوبة الصيانة لعدم وجود الكادر والتجهيزات اللازمة لذلك».

ولفت إلى أن «صعوبة وصول ورشات الصيانة لمناطق العطل أحياناً بالإضافة إلى التعديات من قبل بعض المواطنين على خطوط مياه الشرب وخطوط نقل القدرة الكهربائية، يؤدي إلى فقدان مشاريع الري في المحافظة قدرتها على إيصال المياه إلى المناطق المخصصة».

وأوضح العياش بأن السبب الثاني لمشكلة مياه الشرب بدرعا إداري ويجري حالياً العمل على معالجته من خلال تشكيل مديرية مياه في المناطق الخاضعة لقوات المعارضة للإشراف بشكل كامل على مشاريع المياه وإدارتها، وتضم كافة العاملين الذين تم فصلهم من وظائفهم من قبل نظام الأسد، بالإضافة إلى تنفيذ مشروع إداري يقوم على نظام الجباية المالية مقابل اشتراك بخدمة المياه حيث سيؤمن هذا المشروع وصول المياه الصحية والمراقبة إلى المواطنين وبتكلفة معقولة».

«يتم حالياً العمل على تحليل عينات لبئرين جنوب مدينة درعا قامت مؤسسة المياه بحفرهما في وقت سابق، وفي حال تبين صلاحيتهما للشرب ستقوم إحدى المنظمات بتنفيذ مشروع استثمارهما وربطهما مع الخزان الرئيسي في درعا البلد كحل بديل لمياه المزيريب في الحالات الطارئة» وفقاً لـ العياش.

الدكتور يعرب مسؤول الرصد والإنذار المبكر عن الأوبئة في المناطقة الخاضعة لسيطرة المعارضة بدرعا قال: «إن اعتماد الأهالي على مياه الآبار للشرب أدى إلى إصابة أكثر من 5 آلاف مواطن بحالات الاسهال، وهناك أسر بكاملها أصيبت بالاسهالات وخاصة في الأحياء الخاضعة لسيطرة قوات المعارضة بمدينة درعا، لافتاً إلى أن أعراض الإصابة شملت إسهالات مائية عادية مترافقة مع ترفع حروري بسيط وإقياءات غير معندة على مضادات الإقياء، فيما لم تسجل حالات إسهال ماء الرز ولم يسجل أي حالات إسهال مدمى حتى اللحظة».

يشار إلى أن محافظات المنطقة الجنوبية «درعا والسويداء والقنيطرة تعتمد على مياه الشرب من مشروع الثورة الإروائي في حوض اليرموك بريف درعا الغربي وبحيرة المزيريب».

مارع مدينة الصمود

حسين الخطاب - حلب

يرجع تاريخ هذه المدينة إلى عهد الإسكندر المقدوني، حيث تم العثور على لقى أثرية تؤكد ذلك من تلك الحقبة أي إلى الألف الثالث قبل الميلاد. في العهد العثماني تحولت هذه المدينة إلى «قائمقامية»، وأطلق عليها اسم (دفتر دار) وبعد خروج العثمانيين، احتل الفرنسيون سوريا وقامت ضدهم حركات مقاومة حيث كانوا يسمون في مارع «الجتا».

جاء اسم «مارع» من كلمة السهل الممرع، بمعنى السهل الذي تكثر فيه المراعي، تقع في ريف حلب الشمالي وتبعد عن مركز مدينة حلب نحو 35 كيلومتراً إلى الشمال، وتبعد عن الحدود التركية السورية مسافة 25 كيلومتراً. بلغ عدد سكان الناحية نحو 54000 نسمة في عام 2010.

عُرفت مدينة مارع منذُ اندلاع الثورة السورية في عام 2011 بمعارضتها لنظام بشار الأسد، وكانت تتميز بمظاهراتها الليلة الحاشدة والمنظمة. وكانت من أول المدن التي حملت السلاح في محافظة حلب بوجه النظام الأسدي المجرم.

في شهر نيسان من عام 2012 كانت مدينة مارع على موعد مع اقتحام قوات النظام لها بعشرات الدبابات والمدرعات وشاحنات الدفع الرباعي المحملة بالرشاشات، لتقع قوات النظام في الكمين المشهور آنذاك عندما قام صاحب محل الحلويات بوضع السم في الحلويات، وتركها داخل محله المفتوح، وعندما تناولها جنود النظام أصيب منهم العشرات بحالات تسمم.

المئات من شباب مارع حملوا السلاح وكان من أبرزهم الشهيد عبد القادر الصالح الذي أسس لواء التوحيد، والذي استشهد بقصف للطيران الحربي أثناء اجتماع للقادة على مستوى مدينة حلب في 11 تشرين الثاني من عام 2013، ولن ننسى الإعلامي همام النجار المعروف بـ» أبو يزن الحلبي»، الذي استشهد متأثراً بجراحه بعد انفجار سيارة مفخخة بالقرب منه داخل مدينة مارع، وغيرهم من الشهداء الذي قدمتهم هذه المدينة ليصل عددهم ما بين عسكري ومدني إلى 300 شهيد.

مارع المدينة الوحيدة في حلب التي لم يستطع تنظيم الدولة الدخول إليها قبل انسحابه من مدينة حلب وأريافها إلى الرقة. وتشهد منذ أكثر من شهر حملة شرسة من قبل عناصر تنظيم الدولة بهدف السيطرة عليها ولكنها ما زلت تحت سيطرة أبنائها رغم استهدفها بأكثر من 20 سيارة مفخخة خلال شهر واحد وأكثر من قذيفة تحوي على غاز الخردل.

أهالي مدينة مارع اشتهروا بقوتهم البدنية، وكانت تنطبق عليهم مقولة «إذا كان بدك تصارع روح على مارع»، جلهم اليوم مهجرين من بيوتهم، يقطن معظمهم بين أشجار الزيتون، ملتحفين السماء ومفترشين التراب، تاركين خلفهم أولادهم يروون بدمائهم تراب مدينتهم بالدفاع المتواصل عنها ضد أي معتدٍ آثم.

رئاسة الوزراء التركية تخصص بريدا إلكترونياً للرد على استفسارات اللاجئين السوريين

ترك برس

أعلنت رئاسة الوزراء التركية عن تخصيصها بريداً إلكترونيا للرد على استفسارات الإخوة اللاجئين السوريين على أراضيها.

ويمكن للاجئين السوريين التواصل مع رئاسة الوزراء التركية من خلال البريد الإلكتروني MULTECILIK@BASBAKANLIK.GOV.TR للتساؤل حول أي استفسارات تخصهم.

يُذكر أن تركيا تستقبل ضمن حدودها أكثر من مليوني لاجئ سوري، أكثرهم يقطنون في المخيمات التي افتتحتها الحكومة التركية، في المدن الجنوبية القريبة من الحدود السورية، فضلاً عن عدد كبير من اللاجئين في باقي المدن التركية.

وأفاد مسؤولون أتراك في أكثر من مناسبة أن الحكومة التركية أنفقت نحو 6 مليارات دولار على اللاجئين السوريين منذ بدء الثورة. في حين ساهم المجتمع الدولي بـ300 مليون دولار فقط للحكومة التركية لمساعدة اللاجئين على أراضيها.

إعادة انتخاب أحمد داوود أوغلو رئيساً لحزب العدالة والتنمية التركي

وكالة الانباء الفرنسية ا ف ب

شهد المؤتمر الدوري الخامس لـ«حزب العدالة والتنمية»، المنعقد (السبت 2015/9/12)، في العاصمة التركية أنقرة انتخاب أحمد داود أوغلو للمرة الثانية، رئيساً للحزب.

ويتم في المؤتمر كذلك انتخاب أعضاء اللجنة المركزية للحزب، ولجنة القيادة المركزية، ولجنة الانضباط المركزية، والهيئة المركزية العامة لتحكيم الديمقراطية داخل الحزب.

وشهد المؤتمر في وقت سابق السبت 2015/9/12، التصويت بالموافقة على إجراء تغييرات على اللائحة الداخلية للحزب، تتضمن تشكيل مجلس جديد داخل الحزب يُدعى «مجلس الفضيلة والأخلاق السياسية»، واستحداث منصبين جديدين لنواب رئيس الحزب، أحدهما مسؤول عن حقوق الإنسان، والثاني عن شؤون المدنية والبيئة والثقافة، بالإضافة إلى إجراء تعديل على قاعدة عدم شغل أعضاء الحزب وظيفة أو مهمة معينة لأكثر من ثلاث فترات متتالية، إذ تم استثناء الفترة البرلمانية الأخيرة التي بدأت مع الانتخابات البرلمانية التي أجريت في السابع من حزيران (يونيو) الماضي، وتنتهي مع الانتخابات المبكرة المزمعة في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل، من تلك القاعدة، بسبب قصر مدتها.

وقال أوغلو على هامش المؤتمر إن «تركيا بحاجة لحكومة من حزب واحد لمحاربة الإرهاب» فيما تستعد أنقرة لانتخابات مبكرة في تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل والجيش يخوض معارك ضد المتمردين الأكراد.

وسعى داود أوغلو لإثارة حماسة الموالين في مؤتمر «حزب العدالة والتنمية» بخطاب قدمه فيه على أنه الحزب المؤهل لتولي السلطة بعدما خسر الغالبية المطلقة للمرة الأولى في انتخابات السابع حزيران (يونيو) الماضي.

وقال أوغلو: «لا بد من ضمان حكومة من حزب واحد لمحاربة كل من آفة الإرهاب والتحديات الاقتصادية».

وفاز «العدالة والتنمية» في ثلاثة انتخابات عامة حاسمة في الأعوام 2002 و2007 و2011.

غير أنه في انتخابات حزيران (يونيو) الماضي خسر الحزب غالبيته المطلقة في البرلمان المؤلف من 550 مقعداً للمرة الأولى منذ توليه الحكم في العام 2002 رغم فوزه بغالبية الأصوات.

وقضت تلك النتيجة على أحلام الرئيس رجب طيب أردوغان برئاسة قوية مع كامل السلطات التنفيذية، فيما حقق حزب مؤيد للأكراد خرقاً بفوزه بمقاعد في البرلمان.

ولم يحضر أردوغان المؤتمر، لكن ابنتيه إسراء وسمية، اللتين يزداد ظهورهما العلني أخيراً، جلستا في المقاعد الأمامية.

الأردن على علم وينتظر: قوات خاصة روسية في الجوار وملامح «تسوية كبرى» وشيكة

كلنا شركاء- القدس العربي- الحرمل- وكالات

التدخل الروسي في سورية ما يزال يثير الكثير من القلق والتخوفات لدى دول الجوار السوري، والقوى الإقليمية يا ترى هل هو مجرد تورط روسي استعراضي أم هو برضا أمريكي وضمن خطط دولية، أم مجرد عامل من عوامل استمرار القتل والتهجير والتجويع للسوريين. ما هو موقف الأردن وما هي تطلعاته وتقديراته للموقف المتجدد في سوريا؟ هذه وجهات نظر تداولتها وكالات الأنباء وأقلام المحللين، ومن أهمهم الصحافي الأردني بسام البدرين.

لا شك بأن ظهور المقاتلين الروس مع أسلحتهم، وبعض آلياتهم في محيط غوطة دمشق حدث بارز بالنسبة للأردن الجار الأقرب تأثراً مع تركيا بمستجدات المشهد السوري.

عملياً ألمح العاهل الملك عبد الله الثاني لهذا المستجد المهم بعد عودته مباشرة من زيارته الأخيرة لموسكو، وعقد لقاء مغلقاً مع الرئيس فلاديمير بوتين بوجود الرئيس المصري عبد الفتاح السياسي.

وذكر الصحافي بسام البدرين: ملك الأردن أبلغ نخبة من وجهاء عمان بأن الأسابيع المقبلة قد تشهد نزوعاً نحو التسوية السياسية للملف السوري دون إشارة مباشرة لوجهة النظر المركزية العميقة في الأردن، والتي ترى بالأصل أن المضي قدماً بالاتفاق النووي الإيراني الأمريكي يعني أو سيعني بالنتيجة والضرورة تدشين الملامح الأولى لصفقة التسوية الكبرى.

الأمر لم يحتج إلى أسابيع فخلال أيام فقط بعد لقاء موسكو الشهير، والذي ضم ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد التقط المطبخ السياسي الأردني رسالتين. الأولى من روسيا وتبلغ ضمنياً بسيناريو دخول قطاعات منتخبة من القوات الخاصة الروسية للأرض السورية بموجب اتفاق دفاعي مع حكومة دمشق له علاقة اقتصادية بملف الغاز والنفط وعسكرياً بالعمل على تأسيس قاعدة عسكرية كبيرة ثانية في الأرض السورية أو على السواحل.

الرسالة الثانية من القاهرة وتحديداً من أوساط الرئيس عبد الفتاح السيسي وتفيد بفتح قناة اتصال مباشرة بين القصر الجمهوري في دمشق ونظيره في القاهرة. وتفيد الرسالة نفسها أيضا بأن النظام السوري وعندما يتعلق الأمر بالنظام العربي ومؤسسات الجامعة العربية قرر تماماً الاستظلال بعباءة الرئيس السيسي، وتفويضه بشكل مباشر بتمثيل الموقف السوري عندما يتعلق الأمر بالجزء العربي في سياق ترتيبات التسوية المحتملة.

الرسالة الثانية تقول بوضوح للمؤسسة الأردنية أن السيسي أصبح مفوضاً.

بالنسبة لعمان تتحالف الرسالتان في نقطة تؤشر على أن نظام دمشق الذي يتهم الدولة الأردنية، ويرفض التعامل والتعاون معها يريد حصر اتصالاته مع الأردن أو غيره من الدول العربية بالقنوات المفوضة للتحدث باسمه وهي حصرياً اليوم موسكو في المساحة الدولية، والقاهرة في البعد المتعلق بالنظام الرسمي العربي.

هنا حصرياً أدركت عمان أن إصرار الرئيس بوتين على إقامة تحالف ضد تنظيم الدولة يضم الأردن وسوريا بشار الأسد هو عبارة عن وصفة محتملة للحفاظ على نافذة تواصل بين الأردن وروسيا تمهد لشكل من أشكال التطبيع المتدرج البطيء تحت عنوان الأمر الواقع ومكافحة الإرهاب بين عمان ودمشق.

وعمان تدرك في المقابل أن وجود قوات نخبة روسية تشارك في العمليات ولو بدرجة قليلة وبطء في إدلب ومحيط حمص هو رسالة عميقة من موسكو لا يمكنها أن تنتج إلا في ظل مقايضات مع واشنطن أو على أقل تقدير إلا في ظل حراك إقليمي عسكري منظم ومستقل سيقود بالنتيجة إلى طاولة التسوية الكبرى التي يبدو الأردن اليوم متوثقاً من أنها قد تبدأ بترتيبات المشهد السوري وبمرحلة انتقالية لكنها ستنتهي في المحصلة والنتيجة بالملف القديم في الشرق الأوسط وهو القضية الفلسطينية.

عمان سياسياً لا تملك أوراق خيارات متعددة عندما يتعلق الأمر بخصومتها العلنية مع نظام بشار الأسد خصوصاً بعد التفويض المباشر للسيسي ونمو الاتصالات بينه وبين دمشق بالتوازي مع اهتمام أبو ظبي وهي حليف أساسي بالبقاء على مسافة آمنة من اللاعب الروسي.

بالتوازي أيضاً مع محاولة التفاوض التي جرت بين نظام دمشق والسعودية سواء في الرياض أو في مسقط وهي عناصر تحشر الحركة الأردنية السياسية في سياق القبول بالأمر الواقع وإبقاء الباب مفتوحاً مع اللاعب الروسي وانتظار احتمالات التفاعل مع نظام دمشق بأي شكل من الأشكال، وهو حراك يسمح بطبيعة الحال بإعادة إنتاج الموقف الأردني القديم والذي عبر عنه الملك عبد الله الثاني عدة مرات عندما قال باستحالة حل أزمة الصراع السوري إلا عبر التفاهمات السياسية.

بمعنى آخر تحاول المؤسسة الأردنية اليوم الاحتياط لتحولات متسارعة قد تنتهي بتفاهمات على تفاصيل جديدة لها علاقة بالملف السوري خصوصاً بعدما أظهرت دول مثل السعودية والإمارات وقبلهما مصر مرونة نسبية ومتدرجة ومتباينة في بعض المساحات الإشكالية المتعلقة بالحل السياسي أو بإصرار موسكو على التفاهم مع نظام الأسد والتواصل معه أو حتى بأي معالجات مقترحة لمغادرة عقدة «بقاء أو رحيل الرئيس الأسد».

الأردن يتجهز سياسياً لهذه المعطيات.. يمكن تلمس ذلك من خلال التعليقات العميقة التي تصدر عن شخصيات بارزة في الحكم الأردني مقربة من القصر الملكي مثل رئيس الوزراء الأسبق معروف البخيت ونظيره رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الأعيان سمير الرفاعي.

الرفاعي كان قد أعاد التذكير بأزمة الديموغرافيا السورية وتحدث عن ضرورة المعالجة سياسياً ووقف تدخلات الجميع مقترحاً هدنة كاملة تحت مراقبة مجلس الأمن الدولي.

أما البخيت فقد دعا علنا إلى توافقات كبيرة عبر حكومة انتقالية بصلاحيات واسعة في دمشق تبدأ بوجود الرئيس الأسد وقد تنتهي برحيله معيداً التذكير بأن الفرصة ينبغي أن تكون سانحة كما قال في وقت سابق لـ«القدس العربي» للتواصل مع الواقع الموضوعي كما هو في الميدان السوري وهو واقع يقول بوضوح بأن تدشين حلول سياسية منطقية في ظل شعار رحيل الأسد مسألة تنقصها الحكمة.

عندما تعلق الأمر بأضواء العالم الطازجة على اللجوء السوري لم تتخذ الحكومة الأردنية مواقف محددة والنقاشات الحيوية اليوم خلف الستارة، وأمامها تحت عنوان التسوية الكبيرة في المنطقة والتي تبدأ بالملف السوري هي نقاشات ترصدها عمان وتتابعها بكفاءة بانتظار حصتها من الترتيبات ودورها وواجباتها.

بعد أزمة اللاجئين السوريين الخانقة تمت إعادة الملف السوري من جديد وعلى مستوى العالم، ولعل اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك نهاية شهر أيلول الجاري سيكون بداية الانطلاق إلى مفصل جديد من مفاصل الوضع السوري، والكل بانتظار تبلور الحلول اللازمة لسورية جديدة وحرة وخالية من العنف والانتقام الأعمى والحقد.

أزمة ضخ الهموم والمآسي عوضاً عن ضخ المياه

تقرير وتصوير: عمر عرب

عايش أهالي حلب الموت المرتقب في كل لحظة، ولم يبق لها ولأهلها أي أزمة أو مشكلة إلا وكان لهم منها نصيب، مشاكل وأزمات باتت لهم رفيق حياتهم اليومية وباتت تُضَّخ لهم كل يوم، وربما إذا شاء النظام كل ساعة، أزمة المياه المنقطعة هي من أهم وأبرز الأزمات التي أصبح أهالي حلب يعانون منها منذ فترة وذلك لانقطاعها عنهم لأسابيع عدة مع العلم بأهميتها البالغة في جميع نواحي الحياة وأنه لا يمكن الاستغناء عنها، وحتى عندما تأتي المياه يكون ضخها في أغلب الأوقات ضعيفاً ولا يستمر لأكثر من يوم، وانقطاع المياه في كل مرة يكون لسبب إما القصف العنيف لمحطات توليد الكهرباء وذلك من قبل النظام أو قصف أنابيب المياه الرئيسية مما يسبب أعطال تتطلب صيانة، وفي بعض الأوقات حرمان محطات ضخ المياه من المحروقات، كل ذلك جعلهم يضطرون إلى الاستعاضة عنها في تلك الفترة ببدائل علّها تسد تلك الحاجة الماسة لها من قبل الناس تأتي في مقدمتها مياه الآبار الجوفية، حتى أصبح جُل اهتمام الناس متحولاً إليها وأصبح من لديه الإمكانية المادية يقوم بحفر بئر بالقرب من منزله، أو ربما قد يشترك أكثر من شخص في ذلك ويتم توزيع المياه على أهالي ذاك الحي لتعم الإفادة عليهم، وكما يقال «مصائب قوم عند قوم فوائد» إلا أنه كان هناك جشع من بعض الأشخاص ليقوموا باستغلال حاجة الناس الملحة للماء وبيعهم إياها عبر صهاريج المياه بمبالغ مرتفعة، فهم يعرفون حق المعرفة أن تلك الأزمة مازالت مستمرة، وهناك قد أصبح في حلب عدد كبير من الفقراء لا يمكنهم شراء الماء هكذا مضطرين إلى نقل المياه من أماكن أخرى يتم توزيع المياه فيها بالمجان إلى بيوتهم. وصحيح أن تلك المياه تساعد الماس في قضاء حوائجهم إلا أنها سببت للبعض منهم مشاكل صحية، فهي بالنهاية مياه كلسية وربما يكون البعض منها قد تلوث بسبب طرق النقل الخاطئة لها.

أبو أحمد من حي الفردوس يحدثنا قائلاً: إن وضع المياه أصبح مزرياً ولم يعد بإمكاننا تحمل مثل هذا الوضع فالمياه لا تصل للحي إلى كل ثلاث أسابيع يوم واحد ويكون الضخ بطيء وأكثر الناس تقوم باستجرار المياه بنفس اليوم ونقله إلى الطوابق العليا.

أم عامر من حي المشهد حدثتنا قائله: أنها كانت منذ أسبوع بمشفى في حلب تعالج ابنها الذي لا يتجاوز التسعة سنوات بعد شربه مياه الآبار المالحة وما زال حتى اللحظة يعاني من ألم في معدته، وأنها غير قادرة على شراء مياه صحية بسبب وضعهم المعيشي.

أبو سعيد من حي بستان القصر حدثنا قائلاً: انقطاع المياه المتكرر سبب لنا أزمة كبيرة وكل عمل أو شيء تريد القيام به يحتاج إلى المياه، لذلك قمت بحفر بئر في بالقرب من بيتي وقمت بمد أنابيب مياه ووصلها بخزانات موضوعة على الشارع الرئيسي تمتلئ من مياه البئر، وبهذه الطريقة أستفيد أنا ويستفيد الناس أيضاً.

يبرس خبير اقتصادي في حلب أكد لنا على: السبب الرئيسي لانقطاع المياه كان لعدة أسباب على رأسها الوضع الكهربائي في محطات ضخ الفرات وأنه غير مستقر وبسبب انخفاض استجرار التيار الكهربائي في محطات الضخ بنسبة 40% تقريباً أي من 17 ميغاواط إلى 10.5 ميغاواط بقصد التقنين على المحطات، أيضاً الانقطاعات الكهربائية المتفرقة في محطات الضخ والتعقيم في سليمان الحلبي وباب النيرب ومحطة ضخ تشرين ما يؤثر سلباً في عمل مجموعات الضخ العاملة في هذه المحطات ويؤدي إلى عدم استقرار في التزويد عبر الشبكة.

في النهاية ومهما حدث سيبقى أهالي حلب صامدين وقادرين على التعايش مع كل الظروف والمشاكل التي تمر بهم وستظل عزيمتهم هي الطاغية في إيجاد حل لكل شيء يقف في طريقهم.

العطش لون مأساة جديد يعصف بأهالي الرستن والبديل صهاريج مرتفعة الثمن

تعيش مدينة الرستن شمالي حمص ظروفاً إنسانية سيئة نتيجة القصف اليومي والحصار المفروض عليها منذ تحريرها على يد الجيش الحر في عام 2012 وعلى مر سنوات الثورة تلونت صور المعاناة من انتشار أمراض وفقر وجهل، وتفاصيل أخرى تحت عنوان عدم توفر سبل الحياة، وربما أبسطها وآخرها انقطاع المياه عن المدينة تماماً، وعطش السكان الذي بلغ عددهم 12500 عائلة.

بحثنا عن أسباب انقطاع المياه الأخير، وبحسب ما تحدث إلينا سكان المدينة، أنهم يعيشون أزمة حقيقية منذ خروجهم عن سيطرة النظام الذي عاقبهم بقطع كل شيء عنهم حتى المياه، فأصبحت لا تكفي احتياجاتهم، فهي تصلهم كل ثلاثة أيام مرة واحدة، وتكون لساعات قصيرة لا تكفي لكي يملأوا خراناتهم، وهناك أحياء بأكملها لا تصلها المياه إطلاقاً، ويعتمدون على آبار جوفية، يستخرجون المياه منها باستخدام مضخات تعمل على الديزل المرتفع السعر، مما يكلفهم شهرياً أكثر من 25 ألف ليرة سورية، وهم أساساً محدودو الدخل، ولا يقدرون على هذا العبء.

ومؤخراً انقطعت المياه عن كامل المدينة، وبدأ الواقع المشترك للجميع من انقطاع المياه تماماً، وبدأ اللجوء إلى الآبار، ومن لا يملك بئراً أو الحي الذي لا توجد فيه مياه جوفية ينتظر سكانه التعبئة من صهاريج جوالة يتم بيع المتر المربع الواحد من الماء بـ 500 ليرة سورية، أي أن الأسرة بحاجة إلى 30 ألف شهرياً اذا ما استمرت الأزمة، وهذا يفوق قدرة السكان المالية في ظل الظروف الاقتصادية السيئة من غياب فرص العمل ودمار المحال والأسواق التجارية، وفساد المحاصيل الزراعية، خاصة وأن أهل الرستن أغلبهم من المزارعين، ويعتمدون على إنتاجهم السنوي.

وحول معرفة الأسباب التفصيلية لانقطاع المياه، فقد زرنا مكتب الخدمات في المجلس المحلي، وأخبرونا هناك أنه نتيجة الحرب التي شهدتها المدينة، وقد تضررت شبكة التغذية الرئيسية، ما أدى لانقطاع المياه تماماً عن أحياء عديدة من المدينة بالإضافة إلى أن المجلس لا يملك مالاً كافياً من أجل تشغيل المضخات لساعات طويلة، التي تؤمّن كميات أكبر من الماء للسكان، خاصة وأن المجلس قام سابقاً بحفر آبار جوفية عوضاً عن مياه الضخ الرئيسية ويمكن تلبية احتياجات السكان إذا ما توفر سعر ديزل لتشغيل المضخات

الحرملي

عابرون لا أكثر..!

يوسف دعيس

لن تمر حملة عابرون لا أكثر، التي أطلقها ناشطون سوريون، مرور الكرام، ولن تكون مجرد حملة عادية تزين صفحات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، بل ستكون إضاءة جديّة لقضية إنسانية شغلت وتشغل العالم منذ ما يقارب الخمسة أعوام، قضية تتعلق بموت السوريين دون سابق إنذار، ويمر أمام أعين الناس دون أن يرف جفن أحد من أهل الغرب أو الشرق.

حملة عابرون لا أكثر هي إصرار على البقاء، وتحدٍ جديد لآلة الموت التي تحصد السوريين بشكل يومي، وإن قيّض لها النجاح، كما هو متوقع، ستكسر إرادة دول العالم، التي لم تستطع إلى الآن إيجاد حل لأزمة السوريين المستعصية، وهي بالدرجة الأولى مرآة تكشف زيف العالم الذي لم يجد الوسيلة المناسبة للتعامل مع تجار البشر، وهي فرصة لغير القادرين على ركوب مخاطر البحر، والمغامرة بأرواحهم وأرواح عيالهم.

من المتوقع أن يلتحق بالحملة أكثر من عشرة آلاف سوري سينطلقون من مكان الاعتصام في مدينة أدرنه التركية، المحاذية للحدود اليونانية، باتجاه أوربا، التي يعتبرها السوريون أرض الخلاص، أو الأرض الموعودة، التي تنعم بالسلام والأمان.

لعلّ حملة «عابرون لا أكثر»، هي من أهم الحملات التي أطلقها الناشطون السوريون، نظراً لتنظيمها المحكم والمدروس، إضافة لمواكبة وسائل الإعلام المختلفة لترتيباتها المتواصلة، والتي شهدت تخطيطاً مسبقاً، وتواصلاً بين أعضائها الذين أبدوا رغبة في المشاركة الفعلية، والذين تجاوز عددهم أكثر من ثلاثين ألفاً ممن يرغبون في الهجرة إلى أوربا، معظمهم لا يملك الإمكانية المادية لدفع تكاليف السفر.

ننتظر في القريب أن تفتح السلطات التركية بوابتها لعبور المعتصمين إلى اليونان، وأن تكون السلطات اليونانية كما عهدناها سباقة لمساعدة اللاجئين في الوصول إلى مبتغاهم، وإن تم ذلك، ستعيد هذه الحملة الأضواء على القضية السورية من جديد، وتعيد مأساتهم إلى الواجهة، وتدفع الرأي العام العالمي باتجاه إيجاد حلول عاجلة للوجع السوري، وتكون أداة ضغط فعالة على المجتمع الدولي بدءاً من منظمة الأمم المتحدة والدول الصانعة للقرار، لكي تدفع بهم لحل المسألة السورية، ونقلهم من موقع إدارة المسألة السورية إلى الموقع الذي يفرض الحل على جميع الأطراف، فهل ستكون الأيام القادمة مفتاح حل مشكلة السوريين؟!

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

آل العجيلي وعموم أهل الرقة في أورفا والمغترب ينعون إليكم وفاة المغفور له: خلدون العجيلي «أبو سرور»، الذي وافته المنية في مدينة شانلي أورفا التركية، ودُفن فيها. بعيداً عن أرض الوطن.

أسرة صحيفة الحرمل تتقدم.. بخالص العزاء لآل الفقيد وعموم أهل الرقة في سوريا وبلاد الاغتراب، سائلين المولى عزّ وجل أن يتغمده بالرحمة والمغفرة، ويدخله فسيح جناته.

الخابور ذلك النهر المسروق..!

يوخنا وديشو دبرزانا

نهر الخابور في سوريا، هو أحد روافد نهر الفرات، تشكل منابع رأس العين 75% من مورده و25% من منابع تركية، رغم أن مساحة الحوض المائي في الجانب السوري 19 ألف مترا مربعاً، وفي الجانب التركي 11 ألف متراً مربعاً. تعزى تسميته إلى البيلسان، وهذا ليس دقيقاً، فربما التسمية الأشورية هي الأكثر دقة، ففي لغتنا السريانية ثلاث مرادفات: خابور النهر الأوحد، أو خابورا، ومعناها «الحفاراي» المخترق للأرض، ومرادفة أخرى (خاورا)، والواو في أصل الكلمة (باء)، تكتب وتلفظ واواً، وترجمتها رفيق الأرض علماً أن في الشمال العراقي خابوراً آخر وهو أحد روافد دجلة. وبحق كان النهر رفيقاً، وكان شريان الحياة للناس والأرض الممتدة من رأس العين إلى الصور حيث مصبه في نهر الفرات.

أنا والنهر وحكاية عشق

في كتاب القراءة والاستظهار للصف الثاني الابتدائي في الستينيات من القرن المنصرم قصيدة مطبوعة في وجداني، أبياتها تقول: أيها النهر لا تسر.. انتظرني لأتبعك.. أنا اخبرت والدي.. أني ذاهب معك. وكانت صورة طفل وسفينة ورقية يودعها في نهر أقراني، علاقتهم والنهر لا تتجاوز حدود الصيف والتمتع بالسباحة نهاراً، أما أنا ففي كل الفصول وبدأت تحديداً في أحد أيام الشتاء القارسة، وكانت والدتي مريضة وطلبت منّا الذهاب للنهر لغسل وجوهنا وجلب بعض الماء قبل الذهاب إلى المدرسة، وكانت زيارتي الشتوية الأولى لضفته. شعرنا بالدفء حين اقتربنا من الضفة وذُهلت للمنظر الصفصاف الرائع العاري، والبخار المتصاعد، وكأن الصفصاف أجساد عارية تستحم بالبخار، كان الماء دافئاً رغم درجات الحرارة المتدنية، ومن بعدها أصبحت أتردد، وأجالسه متأملاً وداعته. اختبرته في ليلة صيفية مقمرة وقد عدت متأخراً من لقاء حبي الأول في (المناجير)، والسفينة في الضفة الأخرى، والضيعة غارقة في النعاس وعليّ إعادة (البسكليت المسروق) لأخي الأكبر باكراً، ليذهب إلى مزرعتنا لتشغيل مضخات الماء، ترددت بعض الشيء، ولكن لم يكن من حيلة أخرى، اخترقت النهر لأجلب السفينة وأنقل الدراجة وألبس ثيابي، حينها تذكرت القصيدة، فسبحت، كنت خائفاً في البداية، وحين وصولي إلى منتصف المسافة، وتطلعت إلى كل صوب، أحسست بارتياح للصمت المشروخ بنقيق الضفادع كان المنظر وادعاً، ومن بعدها أصبحت زائره الوحيد ليلاً، كانت متعة لا تضاهى.. إنها قصة عشق للخابور الذي لم أتردد في الغوص فيه حتى أيام غضبه، وعكر مزاجه، أيام فيضاناته في الربيع، رغم برودة مائه نتيجة الثلوج الذائبة المحملة بالطمي.

المشروع الحيوي..!

إن مشروع تحويل بعض من ماء النهر يعود إلى بداية الستينيات من القرن الفائت قبل ثورة البعث حيث كان التدفق يتراوح أيام الصيف بين 48 متراً إلى 55 متراً في الثانية، وقد قام بدراسة المشروع (طبوغرافياً) شركة بلغارية، والمأخذ كان من المقرر أن يكون من قريتنا (تل طويل)، أي بعد 22 كم عن المنابع، كي لا تتأذى المشاريع الضخمة المقامة على امتداد هذه المسافة بالطول والعرض والمقدرة بآلاف الهكتارات من هذا التحويل الذي قرر بـ14 متراً في الثانية. وبحق كانت دراسة لمشروع حيوي إلا أنه جمد بعد ثورة البعث.

السرقة الثانوية والمشروع المأساوي..

بعد وصول حافظ الأسد إلى سدة الحكم بحركته التخريبية، التي خرّبت الإنسان والبنيان، أُخرجت دراسة المشروع من الدرج للبدء بتنفيذ المشروع، حيث أُهدرت فيه ملايين الدولارات دون جدوى، بعض هذه الملايين طُمر في التراب، والدليل الساقية الجنوبية التي مأخذها من قريتنا والعابرة في أرضنا إلى الضفة الجنوبية للنهر على امتداد 20 كم بعمق مترين وعرض ثلاثة أمتار، حيث نفذ مشروعاً لنهر من دون ماء، والقسم الآخر من الملايين ذهب لجيوب المتنفذين في العاصمة، وفي المحافظة، فغُيّر مأخذ القناة الرئيسية، فبدل تل طويل حسب الدراسة البلغارية أخذ من منطقة لا تبعد عن المنابع أكثر من 3 كم وكانت السرقة الثانوية للنهر فبتغيير المجرى حُرمت عشرات القرى والبلدات من مياه النهر في الوقت الذي أضحى تدفق الماء في حده الأقصى لا يتجاوز 20 متراً، سُرق منها 14 متراً للمشروع، وبالكاد الستة أمتار الباقية تصل إلى بعض القرى القريبة من المنبع، وهذه المياه أضحت غير صالحة للشرب بسبب مجارير الصرف الصحي لمدينة رأس العين، وكذلك لزيادة كثافة الكبريت في الماء، فالمعروف أن مياه نبع تل حلف الكبريتية أضحت الرافد الرئيسي بعد أن جفت باقي المنابع وحكم على الشبوط والجري والصفصاف بالإعدام..

السرقة الرئيسية

إن المنطقة الشمالية من الجزيرة السورية، والممتدة على الشريط الحدودي وبعمق 10 كم تعتبر منطقة الاستقرار الأولى زراعياً لوفرة المياه الموسمية الهاطلة حتى في سنين الجفاف ولخصوبة الأراضي، وفي مجملها كانت تزرع بعلياً، زراعات شتوية كالقمح والعدس والحمص أما المشاريع الضخمة والمزارع الكبيرة المعتمدة على ماء النهر فكانت للزراعات الصيفية كالقطن والأحراج كمزارع أصفر ونجار واسمريان وبيير معمار باشي قبل استيلاء الدولة، وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي بعضها وزع على الفلاحين، وبعضها الآخر استثمر من قبل الدولة (مشاريع مزارع الدولة)، وشخصياً قمت بدراسة اقتصادية أكاديمية فترة دراستي الجامعية حيث اخترت الجمعيات التعاونية ومزارع الدولة في سوريا مشروعاً لبحث اقتصادي وبتكليف من أستاذنا في الجامعة اللبنانية الدكتور محمد بيضون في السبعينات من القرن الفائت، وكانت مزرعتا الدولة في كل من رأس العين والمناجير موضوعاً لدراستي وسأكتفي بالجانب المائي موضوع هذه الكتابة ومزرعة أصفر ونجار نموذجاً. هذه المزرعة تقع جنوب مدينة رأس العين مساحتها 40 ألف دونم، وتروى بـ12 مضخة من نوع موداك ألمانية الصنع، قوة سحب كل منها 200 حصاناً بخارياً، محرك آخر قوة 36 حصاناً أي أن مجمل المساحة تروى بـ2،436 حصاناً بخارياً. بعد الخسائر الكبيرة نتيجة السرقات للتغطية عليها، ولفتح باب آخر للسرقة، وزعت تلك الأراضي على الفلاحين، ومنحت تراخيص لحفر آبار جوفية في المنطقة، ومنحت الدولة قروضاً سخية للفلاحين بمشاركة مسؤولين ومتنفذين في الدولة، وإذا اعتبرنا جدلاً أن معدل التوزيع هو 150 دونما للعائلة الواحدة، والمساحة الموزعة هي 30 ألف دونم كون عشرة آلاف دونم مؤجرة لشركة ليبية، أي أن 200 بئر محفورة في حوض البحيرة الجوفية المغذية للينابيع، وعلى كل بئر مضخة قوة كل منها لا تقل عن 80 حصاناً بتدفق 6-8 انش فتكون بذلك القدرة الاجمالية للسحب 16 ألف حصاناً بخارياً لإرواء 30 ألف دونم. وكان عدد الآبار في موقع الينابيع 232 بئراً عام 1984 ووصل العدد إلى 2391 بئراً عام 2006. وإجمالي الآبار المحفورة على حوض البحيرة الجوفية يقدر بـ15 ألف بئر منها 6146 حسب اعتراف وزارة الري غير مرخصة، سوي وضع 3587 منها، وأغلبها يشارك ملكيتها أهالي المنطقة مع ضباط ومتنفذين في الدولة وأذنابها. وفي دراسة لكل من البروفيسور جورج صومي والبروفيسور معن دانيال الأخصائيين في العلوم التقنية قدمت في ندوة اقتصادية يؤكد العالمان أن التسارع الكبير في حفر الآبار في موقع الينابيع أثر سلباً على مخزونها، وساهم في انخفاض المناسيب الساكنة والحركية للمياه الجوفية، وحسب الدراسة فإن التغير الإجمالي في صرف الينابيع انخفض من 45،82 متراً مكعباً في الثانية بين 1942–1970 إلى 5،3 متراً مكعباً في الثانية بين عامي 1984-1999 (زمن الأب) وإلى (0) الصفر في الثانية عام 2006 (زمن الابن)، وجهزت الدولة 116 بئراً مع مجموعات ضخ كهربائية للشفط من الينابيع لدعم مجرى الخابور، وكانت باباً آخر للسرقات المستورة والمكشوفة..

إن هذا العدد الهائل من الآبار لزمه تجهيزات خاصة من مضخات ومحركات ديزل من مختلف الماركات العالمية وجميعها مستوردة وكما هو معروف لأي متتبع أن تجار دمشق هم الوكلاء الحصريون للشركات الضخمة الصانعة للمحركات، كون دمشق هي العاصمة الاقتصادية أيضاً لسوريا، وليست حلب، كما يفيد بعض ممن يدعون المعرفة رغم عراقة التاجر والصناعي الحلبي، إلا أن التاجر الدمشقي يبقى الممول للصناعي، والتاجر في باقي المحافظات، وهنا تلتقي مصلحة التاجر الدمشقي وضابط (الجيش العقائدي) في نهب الوطن. كان للمرحوم صلاح جديد مقولة أن من يرضي تجار دمشق سيسيطر على سوريا، واستغلها حافظ الأسد بذكاء وبالتالي يكون التاجر الدمشقي والضابط العقائدي سارقي نهر الخابور بل سارقين للحياة في الجزيرة الخضراء. طبعاً هذه المضخات والمحركات وما تحتاجه من قطع غيار تستورد بالعملة الصعبة، ناهيك عن المحروقات اللازمة للتشغيل. ليس سحب الماء وحده أثر على التدفق، بل أيضاً التنفيس، فالبحرة المغذية كبريتية، والغاز الكبريتي يشكل ضغطاً على سطحها.

قبل هذا الحفر العشوائي. لم يكن زائر رأس العين يشم رائحة هذا الغاز قبل 3 كم من المدينة، أما اليوم فرائحة الغاز تشم من مسافة 30 كم. ناهيك عن التأثيرات البيئية، نتيجة تدهور نوعية المياه كزيادة الملوحة وتلوثها لعدم معالجة مياه الصرف الصحي، علاوة عليها الانهدامات الأرضية وانخفاسها كنتيجة، وأصبحت مدينة رأس العين مهددة بشكل رئيس.

الآشوريون والنهر المسروق

الآشوري على الخابور فلاح بلا أرض، وبدراسة إحصائية دقيقة اتخذت ضيعتي نموذجاً وجدت أن حصة الفرد 5 دونمات و200 متر مربع من الأراضي المروية والبعلية، بينما قانون الإصلاح الزراعي في الجزيرة السورية اعتبر 10 دونمات من الأراضي المروية حصة الفرد، وعلى هذا الأساس تم توزيع الأراضي المستولى عليها، وللأسف لم يستفد الآشوريون من هذا التوزيع باستثناء بعض العائلات، ربما لا يتجاوز عددها الخمس عشرة من خلال بعض المحسوبيات والعلاقات الشخصية مع لجان التوزيع، وكدليل على كلامي عقار لأسرتي في قرية أم وغفة – تل طويل كنا اشترياه من المرحوم عزت سليم بك بعقود شراء رسمية منذ عام 1936 وحين تطبيق قانون الإصلاح الزراعي، وكون عزت سليم بك مشمولاً (كإقطاعي) بالاستيلاء شمل ذاك العقار أيضاً بالاستيلاء ووزعت مساحة 168 دونما لأربع عائلات (عائلتان كرديتان وعائلتان عرب) رغم امتلاك العائلات الأربع عقارات في قراهم الأساسية (تم تقديم أدلة إلى لجنة التوزيع) ولم يستفد أي من أبناء ضيعتي من هذا التوزيع.. رغم ذلك استطاع هذا الفلاح الحضاري أن يحول المسافة الممتدة من أم وغفة – تل طويل إلى تل هرمز وتل عربوش إلى جنة خضراء آسرة. نعم كل القرى الواقعة على ضفتي المجرى تأذت بالمشروع من المنبع إلى المصب إلا أن 90% يملكون عقارات في مناطق أخرى وهناك عائلات عربية انتفعت أكثر من مرة، وفي أكثر من موقع، وبعضها انتفع بأسماء دوابها من الحمير والأبقار كما حدث في منطقة الشدادي حيث اقسم كشاهد مختار إحدى القرى على أن (الأرملة خضرة الجحيشيش وأربعة من أبنائها وبناتها يعيلهم أحد أقاربه، وخضرة لم تكن إلا أتان الحمار). اضطر الفلاح الآشوري للبحث عن باب رزق آخر بعد أن تحولت بساتين التفاح وكروم العنب وحقول الرمان إلى حطب للمواقد، منهم انتقل إلى مدن الداخل، وبعضهم إلى لبنان، والقسم الأكبر من الشبيبة هاجر بطرق شرعية وغير شرعية متحملين أعباء ومخاطر التهريب إلى دول الغرب، وحسب قول البروفيسور جورج صومي بعد أن كانت الجزيرة جاذبة للسكان أصبحت طاردة لهم. وشخصياً لا أجاري بعض الآشوريين ممن يعتقدون أننا المقصودون بهذه السرقة لتهجيرنا رغم التناغم بين الوهابية وحافظ الأسد، اللاعب مع الكل وعلى الكل، لأن إحدى الجهات الممولة للمشروع أحد البنوك الإسلامية في الكويت.

المنظمة الآثورية والمشكلة:

لقد قدم بعض المهندسين وذوي الاختصاص في المنظمة دراسات كانت ستخفف من معاناة المتضررين ورفع كتاب بهذا الخصوص إلى حافظ الأسد بالذات مما اعتبره بعض القادة الأمنيين في المحافظة تجاوزاً لهم، إلا أن كل ذلك ذهب أدراج الرياح ولتلافي الأمراض والأوبئة ومنعاً من استغلال بعضهم الأزمة لبيع الماء بأسعار غير معقولة استنجدت المنظمة ببعض أعضائها في أمريكا وتم جمع مبلغ لم يتجاوز $3000 بالكاد سدد ثمن أربعة جرارات وثلاث مقطورات ورواتب السائقين، وبدأ توزيع الماء على القرى العطشى مجاناً غير مفرقين بين عربي وكردي وآشوري، فكانت النتيجة اعتقال ثلاثة قياديين وزجهم في السجون بتهمة الإساءة لسمعة الدولة وتلقي أموالاً من الخارج، بناء على شكوى من على منبر ما يسمى ظلماً وعدواناً (مجلس الشعب). وكانت المنظمة تطمح لشراء عشرة جرارات، ومقطورات خاصة بالصرف الصحي خدمة لسكان ضفاف الخابور من منطلق وطني صرف لتلافي الأوبئة.

رأيٌ اخير

إن الزيادة السكانية المطردة والتراجع المناخي خلال العقود الأخيرة يتطلب إيجاد موارد إضافية واستغلال أكبر للمساحات والأراضي القابلة للزراعة والمفتقرة للماء، لكن ليس على حساب المساحات والمشاريع القائمة، كما حدث في مشروع تحويل مجرى نهر الخابور، الذي جوعت فيه مناطق دون أن تشبع الأخرى، فيبست بساتين وكروم في مناطق من دون التمكن من زراعة غراس جديدة. هذا من ناحية المشروع الغبي (المأساة) إن لم نقل مشروع الخيانة. أما من ناحية الآبار العشوائية فأي دولة تحرم ما يقارب من 280 ألف من مواطنيها من نعمة الماء لتتبذخ فئة صغيرة بذاك النعيم، ويتقاسم رزقها حفنة من الأوغاد. في زيارتي لرئيس اتحاد فلاحي محافظة الحسكة شعرت أني في مكتب رئيس إحدى الدول العظمى فعدد خطوط هواتفه بلغ 18 خطاً. إن التكنولوجيا الحديثة والدراسات العلمية والاستفادة من خبرات وحلول لدول أخرى للمشلكة ذاتها ضمانة أكيدة في حل مشكلة الخابور، وشح مياهه، فأين اتحاد فلاحي سوريا وأين اشتراكيتهم التي صُرعنا بها أجيالاً؟! وللأسف هلّل أهل الجزيرة السورية بخطة بشار الأسد لسحب الماء من نهر دجلة وما هو إلا مشروع آخر لسرقات أكبر. أبطالها هذه المرة ابن خاله (رامي مخلوف) وبمشاركة إيرانية هذا ما كان سرب قبيل بداية الثورة.

الحريـة الاقتصاديـة واختـلال النظـام يؤديـان إلى حكومـة دوليـة

د. محمد حاج بكري

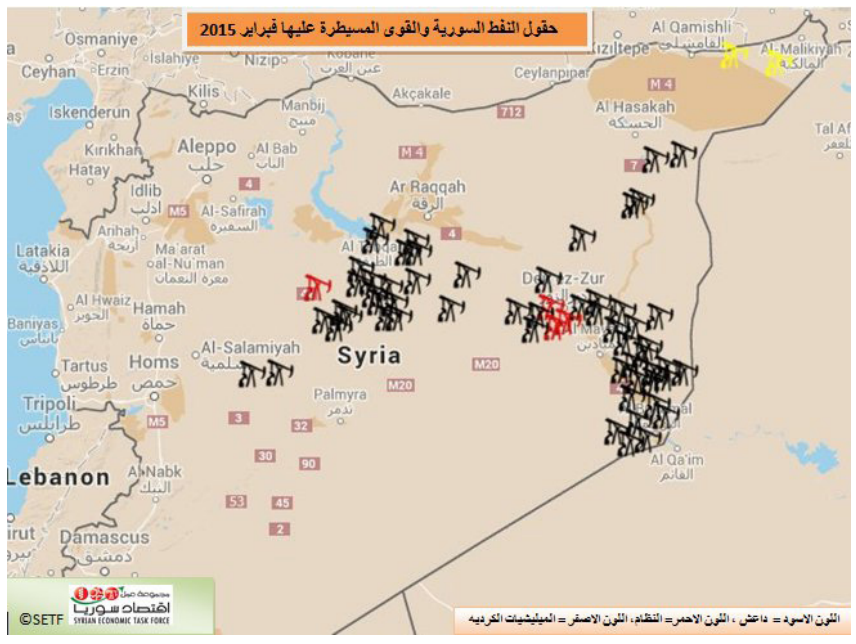

«الذهـب والمـال الوسـيلة الرئيسـة، السـيطرة عـلى الصحافـة ووسـائل الإعـلام هـي القـوة العظمـى، يجـب أن يكـون الإداريـون أشـخاصاً غـير مدربـين عـلى الحكـم ليكونـوا قطـع شـطرنج بأيدينـا».

مـرَّ الاقتصـاد السـوري بمراحـل متعـددة بعهـد الأسـد فبدايـة بـدأ نمـوذج الشراكـة (التحاصـص) وتشـكلت الترويكـة مـن صائـب نحـاس وعثـمان العائـدي وعبـد الرحمـن العطـار، وانحـصرت فـرص الـثراء بـين نخبـة الجيـش والأمـن والقيـادة السياسـية في الفـترة الأولى، ثـم توسـعت لتشـمل عـدداً أكـبر مـن المنتفعـين، وكانـت كل مرحلـة تترافـق مـع عمليـة تحريـر ولبرلـة جزئيتـين للاقتصـاد السـوري يفتحـان مجـالات إضافيـة للاسـتثمار والربـح، وكان الهـدف الأسـاسي منـذ البدايـة تقويـض هامـش المنـاورة عنـد أصحـاب المـال كي لا يكوّنـوا اسـتقلالية عـن الأسـد قـد تسـتخدم في وقـت مـا لفـرض رأيهـم كـشركاء في القـرار السـياسي والاقتصـادي أو التفكـير بتغيـير السـلطة الحاكمـة.

منـذ منتصـف التسـعينات بـدأت هـذه الشـبكات بالضعـف بعـد انحـدار معـدلات النمـو الاقتصـادي وتراجـع المسـتوى المعيـشي، لذلـك قـرر الأسـد إنتـاج شـبكة جديـدة أضيـق مـن سـابقاتها ومحصـورة بشركائهـا، واسـتمر هـذا الوضـع حتـى اسـتلام بشـار الحكـم وإحـكام قبضتـه نهائيـاً عـلى السـلطة وإقصـاء الحـرس القديـم، وشركائـه الاقتصاديـين، وكل مـن لم يخضـع للمعادلـة الجديـدة، وبـرز إلى السـاحة رامـي مخلـوف وشـاليش وشركائهـم الذيـن أحكمـوا قبضتهـم عـلى الاقتصـاد السـوري بحيـث عندمـا كان صنـاع القـرار يخـيرون بـين إحـكام السـيطرة عـلى السـلطة، وبـين اتخـاذ قـرارات تنمويـة للنهـوض بالوطـن والمواطـن كانـوا يختـارون السـلطة، واسـتتبع ذلـك اهـتراء تدريجـي للمؤسسـات الاقتصاديـة حتـى أضحـى الـولاء السـياسي هـو المعيـار الوحيـد للموظـف المعنـي بـأي شـأن مـما أدى إلى اسـتفحال الفسـاد مـن رأس الهـرم إلى الأدنى بشـكل غـير مسـبوق.

وهنـا نبـين لمحـة بسـيطة عـن آل الأسـد وعلاقتهـم بالمـال، فقـد بـدأ انتـاج النفـط في سـورية عـام 1968 ولم يعـرف أحـد أيـن ذهبـت عائـدات النفـط مـن عـام 1970 وحتـى عـام 2001 فحافـظ الأسـد لم يدخـل قيمـة النفـط المبـاع إلى الخزينـة أو إلى الموازنـة العامـة، بـل إلى جيـوب عائلـة الأسـد. في عـام 1980 أسسـت شركـة الفـرات للنفـط وكانـت حصـة سـورية 65% وحصـة الـشركات الأجنبيـة 35% ترأسـها شركـة (شـل) الهولنديـة، ووكيلهـا محمـد مخلـوف في سـورية، وأسسـت في عـام 1980 أيضـا شركـة نفـط اسـمها (ليـدز) مقرهـا في دمشـق، وهـي مناصفـة بـين محمـد مخلـوف وقريبـه نـزار أسـعد، وتـم لاحقـاً سـحب عقـود معظـم الـشركات النفطيـة مثـل (توتـال) الفرنسـية، وتوقيـع العقـود حـصراً مـع شركـة (بتروكنـدا) لأن وكيلهـا الحـصري رامـي مخلـوف.

مـن عـام 1995 وحتـى عـام 2004 بلـغ إنتـاج النفـط ذروتـه بـ 600000 برميـل يومـياً أي ثلـث إنتـاج الكويـت (نـشرة الأكونوميسـت انتاليجانـس بونـت)، وهـذه الكميـة غـير مسـجلة في منظمـة أوبـك كي لا تتـم ملاحقـة الكميـات والأسـعار، ولأن النفـط السـوري يبـاع في السـوق السـوداء بأقـل مـن سـعره الحقيقـي بـشرط الدفـع مقدمـاً بالـدولار، وهـذا لا يدخـل الميزانيـة إطلاقـا، في عـام 2001 قـرر بشـار الأسـد في ظـل كذبـة مسـيرة التحديـث والتطويـر والشـفافية إدخـال قسـم مـن النفـط المبـاع في الميزانيـة العامـة للدولـة، لكـن ذلـك تـم تطبيقـه بشـكل صـوري، والنهـب والسرقـة لا زالا قائمـين في صنـدوق الأسـد ورامـي مخلـوف.

في عـام 2004 وبعـد عشريـن عامـاً مـن ضـخ 600000 برميـل يومـياً صرّحـت الحكومـة السـورية بتدهـور كميـة النفـط السـوري، ولم تعـد الأرقـام تعكـس الواقـع رغـم أن التقاريـر تبـشر بمسـتقبل نفطـي واعـد في سـورية وفـق شركات عالميـة، والسـبب في ذلـك أن شركـة رامـي مخلـوف (غالـف سـاندس بتروليـوم) البريطانيـة دخلـت عـلى خـط النهـب للنفـط السـوري، وتـم إبعـاد نـزار أسـعد شريـك العائلـة السـابق في ظـل غيـاب أي رقابـة عـلى النفـط لأنهـا غـير مسـجلة في منظمـة أوبـك.

في عـام 2004 كانـت الموازنـة العامـة للدولـة تسـاوي /460/ مليـار لـيرة أي /9.2/ مليـار دولار وإنتـاج النفـط /219/ مليـون برميـل سـنوياً أي /600/ ألـف برميـل يومـياً وسـعر برميـل النفـط وقتهـا /$50/ وبعـد دفـع حصـة الـشركات الأجنبيـة /35%/ وهـي شركات آل مخلـوف يبقـى صـافي عائـدات سـورية للبرميـل الواحـد /$32.5/ وحسـابياً 219 مليـون برميـل×32.5= 7.1 مليـار دولار لم تدخـل في خزينـة الحكومـة ولـك أن تعـد سـنوات وسـنوات مـن هـذا النهـب.

مثـال آخـر في عـام 2006 الموازنـة العامـة 495 مليـار لـيرة أي 9.9 مليـار دولار، وإنتـاج النفـط 155 مليـون برميـل سـنوياً، أي بمعـدل 424 ألـف برميـل يومـياً حسـب تصريحهـم ووثائقهـم، أي أننـا صدقناهـم فرضـاً وسـعر النفـط العالمـي للبرميـل $75 أي أن حصـة سـورية بعـد حسـم نسـبة شركات آل مخلـوف $48.75 للبرميـل وبحسـاب بسـيط 155مليـون×48.75 =7.556 مليـار دولار بالإضافـة إلى أن سـورية تنتـج 8.76 مليـار مـتر مكعـب مـن الغـاز الحـر سـنويا أي 24 مليـون مـتر مكعـب يوميـا قيمتهـا 8.76 مليـار×0.3 = 2.6 مليـار دولار سـنوياً أي أن المجمـوع 2.6+7.556 = 10.165 مليـار دولار مقابـل ميزانيـة 9.9 مليـار دولار.

في عـام 2010 صـدرت أوامـر بشـار بإخـراج النفـط مـن الموازنـة العامـة لـترك السـاحة فارغـة لرامـي مخلـوف وشركتـه (دجلـة للنفـط).

في نفـس العـام كانـت الموازنـة العامـة 754 مليـار لـيرة أي 15.08 مليـار دولار وإنتـاج النفـط 128 مليـون برميـل سـنويا بواقـع 350 ألـف برميـل يومـياً وسـعر البرميـل $110 حصـة السـوريين $71.05 للبرميـل الواحـد بعـد اسـتبعاد حصـة آل مخلـوف وبالحسـاب 128مليـون×71.05= 9.1 مليـار دولار بالإضافـة إلى غـاز 8.76 مليـار مـتر مكعـب قيمتهـا 2.6 مليـار أي أن مجمـوع إيـرادات النفـط والغـاز 2.6+9.1=11.7 مليـار دولار، فأيـن ذهبـت، وفي أي بنـك أودعـت هـذه الأمـوال؟!.

في عـام 2011 وقبـل انطـلاق ثورتنـا المباركـة كانـت الموازنـة العامـة 835 مليـار لـيرة أي 16.7 مليـار دولار وانتـاج النفـط 141 مليـون برميـل أي 387 ألـف برميـل يومـياً، حصـة سـورية بعـد اسـتبعاد حصـة آل مخلـوف 141 مليـون×71.05 = 10 مليـار دولار بالإضافـة إلى غـاز 11.3 مليـار مـتر مكعـب قيمتهـا 11.3×0.3 = 3.4 مليـار دولار أي أن مجمـوع الإيـرادات = 13.4 مليـار دولار.

وهكـذا نـرى إحـكام قبضـة آل الأسـد عـلى مفاصـل المـال والاقتصـاد في سـورية بالإضافـة إلى مئـات الـشركات والتعهـدات التـي قادتهـا مافيـا السـلطة لتشـيع بالبـلاد طـولاً وعرضـاً فسـاداً لم يعـرف لـه العـالم مثيـلاً، وكان لا بـد لهـذا الفسـاد مـن مجموعـة مـن الموظفـين الحريصـين عـلى اسـتمرار وبقـاء الحكـم لارتباطـه بمصالحهـم الشـخصية، فقـد أصبحوا جـزءاً منـه، وأصبـح جـزءاً منهـم، فتـم تعيـين جيـوش مـن الموظفـين غـير المؤهلـين وغـير الأكفـاء ليشـغلوا مناصـب تـم إيجادهـا قـسراً ضمـن تسـميات متعـددة لترتفـع تكلفـة هـذه العمالـة مـع تـدني إنتاجيتهـا وعـدم وضـوح أهـداف عملهـا في ظـل غيـاب معايـير تقييـم الأداء إلى جانـب تعقـد الإجـراءات دون سـبب حقيقـي، وإهـدار حـق الجماهـير في إدارة الخدمـات والرقابـة لتضيـف قيمـة مضافـة إلى فسـاد السـلطة ولتعطـل عمليـة التنميـة نهائيـاً.

فالمعيـار الأول هـو الـولاء فقـط وأصبحـت ثنائيـة الفسـاد والسـلطة الحاكمـة وثيقـة العـرى والالتصـاق والمجتمـع السـوري كلـه مـدان، وتحـت هيمنـة الأجهـزة الأمنيـة المراقبـة لـكل صغـيرة وكبـيرة في حيـاة المجتمـع ليـزداد خضوعـاً وتبعيـة لآل الأسـد.

كان لا بـد لاكتـمال المشـهد بسـوريا مـن السـيطرة عـلى الإعـلام بأنواعـه المـرئي والمسـموع والمقـروء مـن خـلال فلسـفة تحددهـا منظومـة الأسـد وشـبكات فسـاده، حيـث يقـوم صنـدوق الإعـلام في هـذا المقـام كأهـم أدوات التمكـين لهـذه القـوى، التـي اجتمعـت مصالحهـا، ومكّنـت السـلطة وآليـات اسـتبدادها من خـلال صناعـة الصورة وصناعـة الإرهـاب وتشـويه الشرفـاء وصناعـة التعبئـة ومجتمـع الفرجـة في إطـار يسـتغل التمكـين لعقليـة الشـعب ليصـل بالتدريـج إلى قناعـة بصناعـة الاسـتبداد الثقيلـة، وكذلـك تكريـس مجتمـع الفسـاد في إطـار يقـوم عـلى صناعـة كـبرى تتولـد عنهـا وتتعلـق بصناعـة مجتمـع العبيـد، أي السـيد والعبـد لإحـكام العلاقـة التـي تسـمح بشـكل أو بآخـر بـإدارة العبيـد، مسـتخدمة في ذلـك مصانـع الكـذب التـي يمكـن أن تتطلـع بهـا سـاحات الإعـلام وأدواتـه وآلياتـه التـي تسـتخدم في إطـار الصـورة والـرضى والكـذب ومجتمـع الإذعـان.

مـن الـضروري التأكيـد عـلى أن هـذه البيئـة التـي صنعهـا الإعـلام لخدمـة الأسـد في سـورية بمـا تقدمـه مـن رسـالة إعلاميـة تسـيطر عـلى كافـة عناصرهـا مـن إرسـال واسـتقبال ومحتـوى وأدوات وأهـداف وغايـات، وأكـثر المسـاحات التـي يتعاظـم تأثـيره فيهـا هـي مسـاحة الإرسـال والمحتـوى والـذي يصنـع بـه المواقـف ويزيّـف بـه الحقائـق، ويقـدم كل مـا يمكـن لرضـاء كاذب أو هندسـة الإذعـان أو إحـكام دخـول النـاس إلى صنـدوق الخـوف والترويـع، وهكـذا ظهـرت صـورة القائـد الخالـد الملهـم الأسـد الأوحـد الـذي يهابـه الجميـع، ولا يـرضى إلا أن يكونـوا عبيـداً مطيعـين، يدخلـون عـن بكـرة أبيهـم بيـت الطاعـة، تحركهـم عنـاصر الخـوف والتضليـل.

هـذا الإعـلام رسـم ضمـن خريطـة تتعلـق بالإعـلام الحكومـي الرسـمي، والإعـلام غـير الحكومـي المحـدود جـداً، والمسـيطر عليـه لمصلحـة الإعـلام الرسـمي ليصـل مجتمعنـا إلى مرحلـة النفـاق الأسـطوري المتنافـس عـلى رضى الأسـد أو إلى نظـرة مـن عينـه بالعطـف والرعايـة.

يترافـق معهـم إعلاميـون ومثقفـون ومفكرون يقومـون بـدور ماسـحي الأحذيـة يجلسـون القرفصـاء عنـد إقـدام سـيدهم يقومـون بـكل مـا مـن شـأنه تلميـع حذائـه، ينتظـرون منـه العطايـا والهبـات، مندفعـين إلى مرحلـة الهـوس في إثبـات حالـة مـن الـولاء والانتـماء، والعمـل عـلى خدمتـه، وتوطيـد أركان حكمـه حتـى يكونـوا معـه، وضمـن جوقـة اسـتبداده وشـبكات فسـاده، هنـاك مجموعـة أخـرى مـن المثقفـين والإعلاميـين الذيـن قامـوا بـدور كلـب الحراسـة للأسـد، وذلـك بالنبـاح عـلى كل مـن يقـترب مـن الهالـة القدسـية لـه، ويمارسـون دور البلطجـة الإعلاميـة، ولا بـأس بإهانـة كل معـارض أو شـبه معـارض مهـما كانـت مكانتـه ليشـكلوا بمجموعهـم فرقـة اغتيـال معنويـة لـكل مـن يجـرؤ عـلى مخالفتـه أو التقليـل مـن شـأنه أو اتخـاذ مواقـف مضـادة لممارسـاته وسياسـاته.

هنـاك مجموعـة أخـرى مـن العلـماء والأكاديميـين كان لهـا دور هـو تبريـر كل مـا يتعلـق بالأسـد مـن خطابـات وسياسـات، وهـؤلاء المدعـين للحكمـة يلعبـون دور المفكريـن والمحللـين والمنظريـن الإسـتراتيجيين لفكـر هـذا الأبلـه المعتـوه، ويجتمـع مـع هـؤلاء عنـاصر إعلاميـة يـتراوح عملهـا بـين صناعـة الكراهيـة مـع كل طريـق وصياغـة الاتهامـات وفبركـة الأخبـار، بينـما يقـوم بعـض منهـم بصناعـة التفاهـة في إطـار لفـت الأنظـار وصناعـة الإلهـاء والإشـغال وتبديـل سـلم الأولويـات للشـعب بنـشر أخبـار تافهـة تكـون موضـع اهتـمام النـاس لتمريـر أمـور تتعلـق بشـؤون عظيمـة وأمـور يمكـن أن تؤثـر عـلى مسـتقبل البلـد السـياسي والاقتصـادي، كل هـذا يتـم ضمـن مصانـع الكـذب وورش التضليـل الإعلامـي في إطـار صناعـة العبـد وسـيده، وفي هـذا السـياق يسـتغلون كل مـا يتعلـق بمجتمـع الفرجـة واللامبـالاة، يهمشـون المواطـن ليصـل إلى متواليـة العبـد المطلـق، وبذلـك أصبحـت وسـائل الإعـلام بأنواعهـا لا تمثـل أطيـاف المجتمـع ولا تعـبر عـن مشـاكلهم وأوضاعهـم بصـورة فعليـة، ولا تمثـل إلا وجهـة نظـر الأسـد، التي يتـم تقديمهـا عـلى أنهـا حقائـق مطلقـة لا تقبـل الجـدل، فهـي الصـواب المعيـاري ومـا دونـه خطـأ أو تحامـل أو تآمـر، لذلـك كانـت وسـائل الإعـلام لـدى الأسـد أحـد أهـم أدوات تكريـس القمـع والفسـاد والاسـتبداد وأهـم أسـباب التخلـف السـياسي والجهـل الكبـير لـدى قطاعـات عريضـة مـن الشـعب.

الحرمل www.alharmal.com السنة الأولى / العدد الرابع والعشرون / 15 أيلول 2015

السوريون.. بين اللجوء والإلجاء

معبد الحسون

اللجوء أن تنتقل من دائرة الحرب، وكل دوائر الاحتقان المجتمعي المنذر باستهداف النفس والمال والعرض والحرية والكرامة الشخصية، والتهديد المؤكد بكل أنواع الأخطار على الحياة الطبيعية إلى مكان آخر يوفر لك الحد الأدنى من الأمان.. وإذا كان اللجوء خياراً إنسانياً طبيعياً، مثل خيار الهروب من غابة وحوش بات مؤكداً أن المفترسين المطارِدين فيها على وشك الانقضاض، فإن اضطرار الناس اللاجئين وقسرهم على الطريق والطريقة، ومقايضتهم وبيعهم بالجملة ضمن صفقات الارتباطات الدولية، ينقل معنى ذلك اللجوء، بحيث يصحُّ أن يُسمى إلجاءً.. والفارق أن الإلجاء هو اللجوء نفسه، ولكن بعد أن فقد طالبه حق تقرير الوسائل وشروط الضمانات واختيار المكان، وأن يكون له أي هامش حرية في شروط لجوئه أو امتلاك ظروف اللجوء.. الإلجاء إذن هو الهروب من سجنٍ إلى باحته أو إلى زنازينه الأوسع، والأرحب مكانة، ولكن لا باختيار السجين، بل بتوجيه السجانين وإدارة السجن.

جديرٌ بنا أن نفكر بالطريقة التالية: إذا كانت المفوضية الأوربية للاجئين، والاتحاد الاوربي الذي تعاهد على إيواء حصة بشرية من الفارين من جحيم الحرب، ومنحهم بعض التسهيلات والضمانات في العيش: راتب إعاشة، رعاية صحية وتعليمية، وغير ذلك.. فضلاً عن أن السوري لا يصل إلى أوروبا إنساناً، بل مادة خام تشبه الطين الذي تَخَلَّق منه، وقد جُرِّدَ من كل قواه وإرادته وشروط بقائه الإنساني، وأصبح (شيئاً) جاهزاً لكي يمتثل ويندمج ويتماهى وينحلَّ في الوضع الجديد الذي اضطُرَّ أن ينتقلَ إليه. ولقد كان بإمكان الاتحاد الأوربي أن يُقَدِّمَ نفس هذه الهِبات الكريمة للاجئين السوريين وهم على الأراضي التركية، وذلك عن طريق سفاراته وقنصلياته ومنظماته المدنية ومكاتب مختصة بهذا الشأن يسهل عليها أن تُديرَ أمرَ مساعدة اللاجئ وهو في «أقجي قلعة» مثلاً، دون أن تضطره إلى عناء الكدح حتى الموت بغية الوصول الى أوسلو واستوكهولم.. فالسوري مكرهٌ ومضطرٌ أن يركبَ كل احتمالات الموت في هذا السفر الأسطوري لتأمين لقمة عيشٍ لا أكثر، حتى لو كانت هذه المنحة الإنسانية الكريمة مشروطة بأن يتسلَّمها السوري من بلاد قريبة من مركز البرغي الذي يمسك محور الكرة الأرضية الشمالي، وبذلك يكون قد حقق لهم ثلاثة أهداف رئيسية على الأقل، وجَعَلَها ميسورة لهم:

- سيكون قد وفر عليهم عناء هذه الرحلات الجحيمية والعذاب الذي أودى بحياة الكثيرين منهم، وأدى بهم إلى الهلاك في الطريق أثناء التنقلات..

- سيوفر عليهم كل المال الذي جمعوه بشِقِّ الأنفس، لدفعه للمهربين، ولتبذيره في ظروف رحلات غير مسبوقة الظروف بهذا الحجم وهذا العدد..

- لو أقدم الاتحاد الأوربي على مثل هكذا خطوة لمنح السوريين فرصة ثمينة في أن يظلوا مالكين لقضيتهم السورية، ومتابعين لها على مقربة من الحدود التركية التي يصحُّ القول فيها إنها متداخلة مع الداخل السوري إلى حد التواصل والتداخل، واستمرار تلك التبادلية التعويضية بين سوريي تركيا المهجرين وبين أهليهم في داخل الحدود السورية.. أما وقد أصبحوا بعيدين جداً عن أهلهم وقضيتهم إلا بالمعنى الوجداني والعاطفي، وفقدوا كلَّ أثرٍ وتأثيرٍ أن يكونوا فاعلين أو مؤثرين في قضيتهم، فإن الأطراف التي اضطرتهم إلى هذا الإلجاء هي أطراف كانت ذات قصدٍ وهدفٍ من سحب الوطن من بين أيديهم، وبالتالي سحب قضيتهم كسوريين منهم.

صحيحٌ أن كل ملابسات هذا الإلجاء وهذا العنف والقسر على الهجرة قد تم ضمن تفصيلات واتفاقيات دولية، كان من عوائدها على السوريين أن لا يُقَدِّمَ الإخوة «الأنصار» لإخوتهم «المهاجرين» حتى صندويشة فلافل لسد الرمق، وأن يدفع السوري من ماله الخاص الذي يتناقص يوماً بعد يوم، حتى ثمن تذكرة باص النقل الداخلي وهو على الأراضي التركية، والأدهى من ذلك أن هولوكوست التهجير يتم بصمت وتواطؤ جعل من قضية الطفل إيلان التي تكشفت صورته للصحافة بغتة فيما يشبه الصدفة القدرية، إحدى انفجاراتها التي تحدث في ظلام التعتيم، مما أحدث هذا الزلزال وفجر فضيحة إنسانية غير مسبوقة.. شأنها شأن كل ما يجري على الأرض السورية بوصفه سابقة إنسانية لا نظائر لها في كل التاريخ.

قراءة في مقدمات الوضع الراهن -2-

راشد صطوف

ومن المعتقد أن الأسباب الثلاثة في المقدمة والعشرة الأخرى في تفسير ظاهرة التطرف والأسباب الأخيرة المذكورة في البند (11) هذا كفيلة بتفسير ما يجري، الأمر الذي لا يحوجنا أبداً إلى الاتهامات التي تتراشقها الأطراف المتصارعة من مثل المؤامرة الكونية والكفر والخيانة والعمالة وهي لا تفيد في الحقيقة في تفسير أي ظاهرة بما في ذلك ظاهرة داعش وباعتبار هذه الأخيرة ضلعاً في الثلاثية. السلطة - داعش - المعارضة فإننا سنحاول فيما يأتي دحض بعض الحجج والدلائل التي يقدمها المتراشقون بالتهم، وبخاصة لأن ظاهرة داعش كانت ولا تزال محل تجاذب وتدافع شديدين وفي هذا السياق نقول:

-1 لا معنى على الاطلاق لاعتبار قادة التطرف في سورية والعراق ومن بينهم كثر من قادة القاعدة وداعش عملاء للسلطة في سوريا أو العراق بذريعة إخلاء سبيل الإسلاميين في سياق الثورة كما ذكرنا من قبل. وكل ما في الأمر أن السلطة السورية، ودعمتها بذلك سلطة المالكي، كانت تريد الالتفاف على الثورة السلمية وطابعها الوطني عبر أبلستها وتطييفها وإضفاء الطابع المتطرف والمعولم عليها لكسب الرأي العام العالمي والاقليمي والعربي والمحلي وكانت تعرف جيداً أن الاسلاميين في سجونها والعائدين من القتال في العراق وبلدان أخرى وآلاف غيرهم من شتى بقاع العالم يمكن أن يكونوا الأداة المطلوبة. من جهة أخرى كان عتاة الإسلاميين المخلى سبيلهم وأولئك القادمون من الخارج مستعدين كل الاستعداد وجاهزين بطبعهم وانطلاقاً من عقيدتهم وتاريخهم القتالي للذهاب بالثورة إلى مذهبهم الخاص بكل طيبة خاطر وهذا ما حصل بالفعل.

ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال بأن الاسلاميين المتطرفين عملاء للسلطة أو أن الأخيرة عميلة لهم بل هما على العكس على طرفي نقيض وهذا ما يعلمنا إياه التاريخ إذ في الكثير من الأحوال يكون هناك تقاطع موضوعي بين الأعداء التاريخيين وحتى بين الخصوم المباشرين مما يوحي بالتواطؤ أو التحالف الذاتي أو العمالة أو أي شيئ من هذا القبيل وبخاصة عندما ينجح الطرفان أو أحدهما بتحقيق كل أو بعض أهدافه من هذا التقاطع وهو ما حصل في سورية إلى حد كبير حتى وقت قريب. حيث نجحت السلطة بطبع الثورة بالطابع المتطرف عبر الأطراف الإسلامية المذكورة الأمر الذي دفع إلى الإعتقاد - وهو اعتقاد خاطئ- بمفهوم العمالة وبخاصة لأن داعش قد وجهت رأس حربتها طيلة شهور إن لم نقل أكثر ضد الفصائل المقاتلة الأخرى متجاهلة إلى إشعار آخر السلطة الغاشمة. ولكن كان لابد من وقوف الحقائق على قدميها في نهاية المطاف وانقلاب السحر على الساحر كما حصل في أفغانستان سابقاً مع أمريكا والسعودية وباكستان حيث وجدت السلطة وداعش نفسيهما في المواجهة من جديد. الأمر الذي جعل من النجاح النسبي للسلطة في أبلسة الثورة والمراهنة على قهرها وقهر داعش في النهاية بالتعاون مع المالكي في العراق وعبر تأهيله دولياً وإقليمياً وعربياً ومحلياً حديث خرافة ياأم عمرو. لأن نجاحه النسبي عبر التقاطع الموضوعي مع داعش وأمثالها في أبلسة الثورة وفي احتلال الأطراف التكفيرية موقع القوة والصدارة شبه المطلقة في خندق المعارضة لم يؤد إلى استعادة تأهيله على الصعد المذكورة أعلاه وبدلاً من ذلك فقد دخل منذ بعض الوقت في مواجهة مع عدو شرس هو داعش ولاحقاً النصرة التي تستعد للحلول محل المذكورة اذا تم القضاء عليها دولياً. وفي كل الأحوال فإن السلطة اليوم هي أبعد من أي يوم مضى في تحقيق حلمها في القضاء على هذا العدو.

إن التصور السلطوي الميكانيكي السابق والمستند في جزء منه على الفوبيا العالمية من التطرف الإسلامي أثبت على الرغم من منطقيته الصورية أنه كان قائماً على سوء تقدير فادح عملياً.. الأمر الذي وضعها وحلفاءها في مأزق لا تحمد عقباه وبخاصة لأن استعادة التأهيل تحولت إلى أضغاث أحلام إن لم نقل أكثر وبخاصة عندما نسمع من بعض الدول صانعة القرار في العالم والمنطقة القول في اعتبار الإطاحة بالسلطة الأسدية شرطاً لازماً لمواجهة جدية ناجحة للإرهاب والتطرف، كل أشكال الإرهاب والتطرف حتى لو لم يقترن هذا القول بالفعل.

-2 لا معنى كذلك أيضاً للاستقواء بصراع داعش وخليفتها اللاحقة المحتملة النصرة. ضد الفصائل الأخرى باعتبار ذلك عمالة للسلطة السورية على الرغم من أن هذا الصراع يخدمها بالفعل خدمة كبرى لكنها غير مضمونة النتائج وهذا ما حصل فعلاً. والصحيح أننا لسنا هنا بحاجة إلى مفهوم العمالة على الإطلاق. لأن داعش وأمثالها خارج المفهوم المذكور كلياً. وعلى اعتبار أنها لا تقترن بالمطلق بمفاهيم الوطن والشعب والثورة والحرية والديمقراطية والسياسة والحقوق الإنسانية غير قادرة على التعايش إلا مكرهة مع أي طرف له علاقة بهذه المفاهيم مدنياً كان أم عسكرياً. ولذلك فإن من المفهوم تماماً أن تعمد - حين تتمكن - إلى تصفية كل من يمت بصلة إلى المفاهيم السابقة. ومما يزيد في حدة هذا التوجه التصفوي كون داعش وأمثالها لا تقر أبداً بأي وجود صائب خارجها، لأنها تحتكر الحق والصواب والإيمان والإسلام، وكل الآخرين كفرة أو مشركون أو مرتدون يجب قتلهم وتصفيتهم شرعاً، وهذا ما حصل. وعندئذ فإن مفاهيم مثل العمالة والتصنيع والتواطؤ الذاتي والموضوعي، تتبخر في أتون الحقيقة ولا يبقى لها من وجود إلا ذلك الذي تسبغه عليها الذهنية المتخلفة القائمة، كما ذكرنا على الثنائية المانوية ونظرية المؤامرة والمنظور السلبي لمفهوم الوطنية، والفائدة العابرة التي يجنيها هذا الطرف أو ذاك من التقاطع الموضوعي لمصالحهما.

ليس هذا فحسب بل بوسعنا الذهاب إلى أبعد من ذلك بالقول: حتى لو لم يكن الأمر كما هو الحال فيما يتعلق بداعش وأمثالها وفي علاقتها بالفصائل الأخرى وبالسلطة. وحتى لو كانت كل الفصائل غير متناحرة، بل وحتى لو كانت متقاربة، فإن التجربة التاريخية تعلم أنه من أجل المواجهة الإستراتيجية مع العدو ومع الطرف الآخر لابد للفصائل المقاتلة في الملعب الآخر أن تتحد أو أن يصفي بعضها بعضاً وصولاً إلى وحدة إستراتيجية عسكرية وسياسية طوعاً أو كرهاً. وذلك في مرحلة من مراحل الصراع إن لم يكن منذ بدئه. والأمثلة على ذلك كثيرة بدءاً من اليمن الجنوبي في المرحلة الأخيرة من صراعه مع الاستعمار البريطاني وصولاً إلى أفغانستان نفسها، إن يكن قبل المواجهة أو بعد انتصارها مروراً بما حصل في سياق الحرب الأهلية في لبنان في بيروت الشرقية والجبل في تموز من عام 1980حيث أجبر بشير الجميل قائد القوات اللبنانية سائر الفصائل العسكرية المسيحية على الالتحاق به لتوحيد البندقية المسيحية وقد ذهب بعيداً في ذلك إلى درجة تصفية من رفض. وعلى رأسهم قائد المردة (طوني فرنجية وعائلته) وقد نجح إلى حد كبير في تحقيق الوحدة المطلوبة. ومثل هذا الفعل حصل في التاريخ وحصل في سوريا وسوف يظل يحصل ما دام هناك أوضاع تستدعي ذلك. حتى ولو كان في حصوله خدمة كبرى موضوعياً وواقعياً للعدو، للخصم، للطرف الآخر، ولكنها خدمة حتى إشعار آخر فقط. وهي بهذا المعنى ضريبة تاريخية تتقدم ظرفياً ويتم تجاوزها لاحقاً، في زمن يقصر أو يطول حسب الظروف التاريخية الملموسة. وفي الغالب تنعكس إيجاباً على الطرف الذي قدم الضريبة، وسلباً على الذي استفاد منها بشكل عابر. ومن هذا المنطلق التاريخي نقول: إن ما فعلته داعش والنصرة وأمثالهما لا يعدو أبداً أن يكون تجسيداً للقاعدة المذكورة ولا علاقة له على الإطلاق بالعمالة أو أي شيء من هذا القبيل.

حملة الرقة تذبح بصمت تفوز بالجائزة الدولية لحرية الصحافة لعام 2015

الكتابة في عصر الجنون

❖ عاصف الخالدي

أفكر في سفينة الحمقى التي تستمر في الإبحار ولا تتوقف، وأفكر في (ميشيل فوكو) وهو يقوم بتشريحها في حقبة القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وسفينة الحمقى كناية عن مركب كانت المدن الفرنسية وغيرها تقوم بتحميله بالحمقى الهائمين أو المجانين وبالمجذومين لتجمعهم فيه بعد كنسهم من شوارعها لدواعي النظافة، ومن ثم يحملهم هذا المركب بعيداً في عرض البحر، فإما يظل هائماً بهم على وجه الماء حتى يفنى خشبه ويفنون، وإما يتم إلقاؤهم في جزر أو برارٍ بعيدة، يتم إفلاتهم فيها، وتركهم للموت يفترسهم بطريقة أو بأخرى. أما المشافي التي بنيت لأجل هؤلاء عموماً، فقد كانت فارغة منهم تقريباً، كان عزلهم وإفناؤهم حلاً مرضياً أكثر، أما الفائدة الأخرى فكانت تكمن في جمع ثرواتهم كما فعل حاكما فرنسا لويس وشارل.

من هم حمقى هذا العصر؟. هل هم السياسيون، أم رجالات الطائفية والحرب، هل هم الناس خاملين كانوا أو ثائرين؟. أم هم الكتاب والمثقفون؟. لو تطلعنا إلى الإنسان العربي اليوم من فوق، من ارتفاع، لو نظرنا إلى مدنه النظيفة المرتبة أو تلك التي تم هدمها، فصارت بلا مبنى ولا معنى. لانتبهنا إلى التناقض الكبير بين جغرافيات متقاربة وصفت عبر التاريخ بوحدة الحال في اللغة والدين وإلخ. لا يمكن استعراض تاريخ طويل الآن، يكفي النظر إلى التفكك القائم، الذي يشكل حالة غريبة، تتمثل في هذا الانقطاع الكبير عن الماضي، والقطيعة المرعبة مع حاضر يقود إلى المستقبل. ولا يمثل التاريخ الديني إن صح التعبير مادة كافية يمكن من خلالها توثيق ماضي المنطقة والاستناد إليه كوثيقة وحيدة أمنت المرور إلى الحاضر. لكن الذي يحصل اليوم يناقض هذه الفكرة، فقد تم تضمين تاريخ الشرق عموماً في محتوى الدين فقط، بل، وتم اختزال أصله العتيق الضارب في جذور الأرض إلى ألفي سنة أخيرتين. أما ما سبق أو لحق هذه المدة، فإما تم ربطه بطريقة أو بأخرى ليجد له الدين مساحة يحتجزه فيها ويفسره من خلالها فقط، وإما تم نبذه واعتباره مجرد خرافات أو خزعبلات يجب التخلص منها. يحيلنا هذا إلى أنه تم استخدام الدين وبدءاً من منتصف القرن الماضي تحديداً، كأداة وحيدة ومطلقة لقياس تراكماتنا وحضارتنا تاريخياً. أدى هذا بطبيعة الحال إلى قراءات جانبية مضادة ومتعددة لكتب اللغة والأدب العربية والتاريخية التي كتبت في تلك الفترة، والتي أظهرت واقعاً ثقافياً وإنسانياً مغايراً لما نتج من توثيقات تاريخية في إطار ديني تصر على أن التاريخ العربي لم يبدأ من منظورها إلا بعد تعزيز مكانة الدين نصاً ووضعاً.

تحيلنا النصوص الثقافية والأدبية والتراث اللغوي والاجتماعي (الذي كان يتمثل بكتب الحوادث والطرائف وغيرها) في ذلك الوقت إلى محتوى نصي غني يشير إلى جذور لغوية عميقة فيها من طاقات التعبير والمفاهيم الحياتية والثقافية ما يكفي ليدلل على وجود عقل عربي إنساني ذي قيمة تراكمية تكفل له إمكانية الاستمرار والتراكم والتطور. عدا عن أن اللغة العربية وحدها تتمثل في النصوص كلغة حضارة قائمة منذ زمن بعيد، لغة تحمل الجمال والعمق والمرونة التي تمكنها من احتواء أي مفهوم أو فكرة، حتى إنها توضح حداثتها وتفوقها في ذلك الوقت، وكأنها لا يمكن أن تتقدم أو تتطور لأكثر مما وصلت إليه من عظمة. ولعل الشعر العربي القديم خير دليل على تفوق اللغة، التي باتت اليوم أهم ربما من حامليها والقائلين فيها. غير أن هذا لم يمنع من اختفاء أساطير العرب القديمة، ولا من تقليل ما أمكن تقليله من نصوص الشعر العربي القديم، وترك الضوء مسلطاً على الألفين الأخيرتين، وتقسيمهما بشكل سياسي، يقرأ من خلال فترات الخلافة وتبدلاتها وأحوالها، حتى يبدو أن المحرك الأساسي للصعود وتشكيل البعد المدني والحضاري هو الدين فقط، فيما تناقض نصوص تلك الفترة في أغلبها هذا التوجه، كان للدين دور أساسي في تغيير الشكل القبلي، وتأسيس شكل جديد. تم ربط كل أمجاد الماضي به فيما بعد، وكأن التاريخ العربي بوقائعه ونصوصه كلها يقتصر على الألفين الأخيرتين. إن الأخذ بقيمة الأدب كشاهد موازٍ على أحداث التاريخ، والأخذ به كأداة جمالية ونقدية تسجل التفاصيل ولو الصغيرة منها، إضافة لكونه يعطي تصوراً عن التراكم الحضاري في أي بقعة جغرافية يسكنها البشر، هو أخذ طبيعي وضروري يؤدي بنا إلى رؤية أوضح وأكثر بنائية في حال كنا ننظر إليه من مكاننا الحالي في الحاضر. لكن الذي يحصل الآن، أننا ننبذ غالبية كبيرة من نصوص الأدب والعلوم الإنسانية، بل ونخضعها لمقياس واحد لا يمت لمحتوياتها بصلة، فهي إما نصوص محللة أو محرمة، وهي بالمجمل نصوص تابعة غير ذات أهمية في حضور النص المقدس الأوحد!.

سفينة الحمقى تعود من بحر التاريخ لترسو من جديد على شاطئ الحاضر، تم استدعاؤها أخيراً، لتحمل أولئك الخارجين عن حدود المجتمع وإطار النص إن صح التعبير، ولتحمل الحمقى الذين يحللون ويكتبون، إذ لا مكان في الحاضر لغير الإملاءات الجاهزة، لتحمل المجذومين، الذين يكتبون عن الإنسانية ولها دون تمييز.

هذا الزمن، زمن الماضوية التي تنزع الحاضر، وتقوّس الزمن، وتصنف الناس إلى كائنات دينية وغير دينية، أو كما يقال كائنات ملتزمة وغير ملتزمة، بمقابل مسوخ مجذومة يتم نفيها لأنها مصابة بالثقافة وكل ما تحمله من مفاهيم تقود إلى المستقبل. أعود إلى المدن المتجاورة، مدينة مدمرة وأخرى قائمة، وفي المعنى العميق بعيداً عن الشكل، كلتا المدينتين مدمرتان، إن المباني الشامخة والشوارع النظيفة كلها فارغة وجاهزة، لاستقبال مستوردات العالم العابرة للقارات، إما دمار وإما معانٍ بديلة لا تمثل روح المكان ولا تاريخه، في قطيعة مميزة تحتمي بالماضي، الذي لن يرد النهاية المحتمة التي لا وضوح فيها لأي مستقبل. إن اللغة والدين من مكونات أي حضارة، وهما ذراعان يحملان البشر إلى أعلى، دون أي تزمت أو غلو يطغى فيما بينهما، هذا ولا ننسى أن كلاً منهما لا يمكن فهمه أو ضمان استمراريته دون الآخر. فما الذي نريده اليوم؟. باستدعائنا لسفينة ماضوية، نتخلص على متنها من حمولة اللغة والنص، لنحمي نصاً آخر هو فعلياً لا يحتاج إلى حماية، ولا خطر حقيقياً يحيق بها سوى ذلك الذي نقوم به نحن، نقتل النصوص ومحتواها الإنساني واللغوي والتاريخي، ننفي الكاتب الخارج عن منظور النص الوحيد، كأن صرخة تأتي من الماضي السحيق: توقفوا عن الكتابة. والتوقف عن الكتابة كناية فقط عن الموت.

❖ روائي أردني

رسالةٌ من زائر...

أحمد العُجيلي - ألمانيا

خالتي أنجيلا... أو كما سمعت بعض البشر ينادونك قبل أن تتلاشى أصواتهم بين أمواج البحر، أذكر أنهم هتفوا لك : ماما ميركل !

لا أدري إنْ كانت لغتي مفهومة لديكم أنتم معشر البشر، فأنا لم أتجاوز بعد عامي الثالث في عالمكم هذا. ولا تزال لغتي البشرية أشبه بلغة ذاك اللاجئ الذي وطئ أرضكم فرحاً لا يتقن أكثر من بضع كلماتٍ تعبّر عن مدى سعادته بما تبثونه من حفاوة وتكريم.

جئتكم ضيفاً حلّ في رحم امرأةٍ هي أساساً كانت تعُدّ نفسها وزوجها مجرد ضيوف داخل رحم أوسع، فهمت من طريقة كلامهما أنّ اسمه كان يوماً ما «سوريا». سُعدت كثيراً بإقامتي بين أولئك البشر الذين عاملوني وكأني قطعةٌ من أرواحهم كانت يوماً ما مضغة زرعوها كي تكبر شيئاً فشيئاً، وأصبح رجلاً آدمياً يشبههم وينادونهم : بابا .. ماما.

لا أدري كيف خالجتهم تلك المشاعر، ربما هم أحبوني وسُعدوا بوجودي بينهم. فهم حسب ما فهمت منهم لم يعتادوا على هذا النوع من الضيوف من قبل. كنت أسترق السمع ليلاً إلى نقاشاتهم، وأحاول ترجمة كلماتهم المرسومة على شفاههم؛ كانوا مراراً يشكرون الرب على هذا الضيف (أنا)، كنتُ على حدّ تعبيرهم مختلفاً عمن سبقني من الضيوف، سمعت أني مختلف عن كلّ الأرمن والشركس والعراقيين والكويتيين واللبنانيين والفلسطينيين ممن سبقوني إلى دارهم، واستضافوهم في بيوتهم. ربما لأنهم أدركوا مبكراً حقيقة ماهيتي الملائكية، وإن أخفيت جناحيّ عنهم، إلا أنهم ربما تبيّنوا أني لا أتقن لغتهم، وأكاد أغرد بينهم بكلمات لا تقوى سوى الملائكة على الإتيان بمثلها. ربما لا أدري!

ولكنّ ما أدريه وأدركه تماماً أنهم كانوا يشبهونني إلى حدّ ما، وما جعلني مُتيقناً من ملائكيتهم هو براءتهم التي تشبهنا في عوالم الملائكة إلى حدّ لم ألحظه بينكم أنتم معشر البشر طيلة مدّة إقامتي بينكم. تخيلي أنهم لفرط براءتهم كانوا يترددون صبيحة كلّ يوم إلى سفارات دولكم الآمنة، زوادتهم الوحيدة هي الأمل يُعللون أنفسهم بتحقيق حلمهم السرمدي بتوقيعٍ من موظف يُغيّر مجرى تخبطهم في هذا التيه الذي لا نهاية له؛ وفي كلّ ليلةٍ كنت أتفحص تلك التخضنات التي أرهقت جبين مضيفي الذي كنت أناديه تحبباً «بابا»، أقرأ في تلك التجاعيد ما خطّته السنون من عذاباتٍ وآلامٍ لم أفهم منها سوى كلمة ترددت كثيراً بين تلك التجاعيد «الأسد».

نعم يا سيدتي هم لا يشبهون عالم البشر، لا ينتمون إلى عالمكم، أجدهم لبراءتهم أقرب إلينا معشر الملائكة منكم أنتم البشر، فنحن الملائكة لم نتقن الخداع أو الكذب أو القتل. نحن نمثّل البراءة النقيّة التي أبدعها الصانع، فخلت من كلّ شائبة، وإلا إنْ لم يكونوا ملائكة فكيف لهم أن يُصدّقوا أنّ هذا القارب المطاطي يمكن أن يطير بهم إلى جنتك الموعودة، وهم يعرفون تماماً أنك لا تملكين أجنحةً لنقلهم، فخالوا أنفسهم ملائكة يمكن أن تطير فيما لو حاك القدر لقاربهم التعيس مصير أقرانه من قبل.

أيُعقل أنّ بشرياً يمكن أن يُصدّق أكاذيب باقي إخوته من البشر، وتنطلي عليه دموع التماسيح التي يذرفونها حزناً عليه، ليُعبّروا عن عجزهم أمام ذاك الوحش الهائج الذي يقتل ما يتسنى له من السوريين أناء الليل وأطراف النهار؟! أيُعقل أن يُصدّق «بابا» ألا نهاية لعذاباته سوى الهروب نحو الهاوية؟!

لم أدر ماهية شعوره وهو يرى خليلته يتقاذفها موج البحر وهي حاسرة الرأس، هؤلاء البشر لديهم حسابات حتى في مثل هذه المواقف. كما أنني لا أعرف لماذا راح يذرف الدموع، وهو يرى تلك الموجة وقد حملتني على كفّها بكل تؤدةٍ لتوسّدني رمال الشاطئ الوثير؟! سمعت ممن حملوني أنهم يبكون لأنّ الموت قد غيّبني! في الحقيقة كنت مذهولاً من ردّة فعلهم، فأنا لم أفهم بعد هذه الكلمة، أو ربما مخزون المفردات التي حفظتها من لغتكم أنتم البشر لم يتضمن هذه المفردة. حزنت لأني سأترك مُضيفي حيراناً لا يلوي على شيء، يتحرّق لرؤيتي، وأنا المسافر الذي لا بدّ له أن يعود من رحلته إلى ذاك العالم الذي لا تعرفون عنه شيئاً. إلا أنني أدركت من خلال ما تناقلوه من أحاديث عن ماهية الموت الذي يقصدون؛ فضحكت في سرّي منهم وعليهم شفقةً. فهم لا يعرفون أننا نحن معشر الملائكة لا نموت، وإنما أنتم من تموت أرواحكم ومن قبلها ضمائركم. أعتذر على الإطالة، قد أكون ألهيتكم عن الحزن على موتي... أنا غيلان أو إيلان أو اسم اخترتموه أنتم البشر لملاك كان ضيفاً لديكم يوماً ما.

بوتين يلعب الروليت في سورية

الشاوي الضليل

يبدو أن ذهنية قادة الكرملين في العصر الحديث، منذ بطرس الأكبر إلى هذه اللحظة واحدة، لا تأخذ بعين الاعتبار، إلا تحقيق الحلم الاستراتيجي بموطئ قدم في حوض المياه الدافئة، دون تكييف هذا الحلم من خلال معطيات التاريخ والجغرافيا المتغيرة أو المتغيرات السياسية والاقتصادية في عالم العولمة المعاصر.

ولأن الأمريكان سبق وحققوا نصراً على المنظومة السوفيتية (الروسية) عبر قدرتهم على فهم آليات التفكير المقامر عند الروس، فقد طوروا استراتجية لعبة الشطرنج الكبرى التي وضع أسسها «بريجنسكي» بحيث تستوعب اللعب بشكل متوازٍ مع كل الاحتمالات، لذلك نجد أن واشنطن قد التقطت المبادرة الروسية لإنشاء حلف من النظام وإيران وربما دول عربية أخرى، ودعوة تركيا وحلفائها السوريين «الظهير الأمريكي» لأن تكون جزءاً منها، لذلك وبعيداً عن أضواء الإعلام، مررت أمريكا قبولها بدور للجيش الروسي في محاربة الإرهاب، تحت مسمى حماية الحل السياسي كبديل عن الدور الإيراني بعد اتفاقها النووي، وبذلك نجد واشنطن تشجع هذا الاحتمال لأنه يمنحها الوقت الكافي للتفرغ لاستحقاقات انتخابية، وتملأ ما تبقى من وقت المرحلة الأولى من خطتها المعلنة لمحاربة الإرهاب في العراق وسورية.

أعتقد أن هذا الاحتمال يمكن الركون إليه أمريكياً، لأن الجيش الروسي المُحدث يجب اختبار قدراته وتقييمها في معارك حقيقية، ذات طبيعة معقدة تشترك فيها كل أنواع القتال وفنونه وخدعه، في منطقة معقدة يعتقد الروس أنهم يعرفونها جيداً، عبر خبرتهم وقدراتهم المادية واللوجستية، والتي اكتسبوها عبر تواجدهم على الأرض السورية منذ أكثر من ستين سنة، مما يؤهلهم للعب دور رأس الحربة القائد، وهذا لا يكلف ولا يضيف بنوداً جديدة على موازنة التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب، لأن روسيا وبعض الحلفاء الإقليميين والمحليين سينفق على ذلك، تحت مسمى الدفاع عن المصالح والأمن القومي الاستراتيجي الروسي، والدفاع عن دور روسي عالمي وازن يليق بطموحات روسيا بوتين.

أعتقد أن الامريكان قد استطاعوا تأهيل الروس للعب الدور، عبر السنوات السورية الخمس الماضية، ووضعوه أمام خيار القبول بممارسة لعبة الروليت الروسي المفضلة لدى نخبتها السياسية عبر التاريخ الحديث لروسيا، وهذا سيجعل الروس يمارسون الدور بحماسة شديدة، وهذه الحماسة في التنفيذ تجعل من واشنطن وحلفائها الرابح في الحالتين:

1 – في حالة نجاح الروس في قيادة تحالف أرضي وتحقيق نصر على القوى (الجهادية) وتلك المناهضة للحل السياسي، سيتقاسم الجميع ثمار هذا النصر، وستكون روسيا مجرد شريك مع شركاء محليين وإقليميين ودوليين، في الشكل النهائي لخارطة المصالح في الشرق الأوسط الجديد.

2 – في حالة الفشل الروسي، وهذا هو الراجح والذي يسعى الأمريكان له في إغراق الجيش الروسي في المستنقع السوري، من خلال دعم أطراف وتشكيلات عسكرية مناهضة «لداعش» وللنظام عبر قوى إقليمية مؤثرة في الساحة السورية، وبالتالي سيقاتل الروس على جبهتين، وهذا سينهك الروس وحلفاءهم من جهة أولى، ومن جهة أخرى سينهك القوى الأخرى، مما يتيح للأمريكان وحلفائهم التدخل تحت إيهام يبدو كأنه ضغط من موسكو على واشنطن من أجل إيجاد حلول تمنع بوتين من الضغط على آخر فرصة في زناد المسدس المستخدم في لعبة الروليت الروسي، لأن من شروطها موت أحد اللاعبين. إن نجاح الأمريكان بإنجاح هذا الاحتمال، يؤكد أن العنجهية الروسية لم تستفد من دروس التاريخ القريب، درس كابول أو غروزني.

صديدٌ يجثم في الذاكرة

ديمة محمود

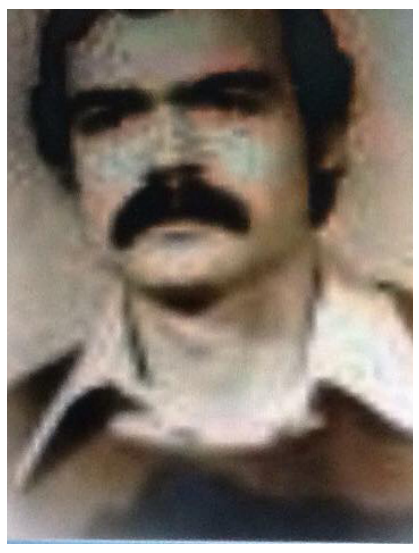

في الطريق تدحرجت إلى سمعه همساتُ أمِّه وأختِ جدته، وقد باعت الأم سوارها الذهبي لتظفرَ، ولو بنظرةٍ لعينيها مع حبيبها ووالدِ طفليها الذي غُيّب على حين غفلةٍ قبل سبع سنين.

تعاود أختُ جدته الهمسَ في أذُن أمّه: «رح يفرح حسّان إنو صار عندو صبي!»

في كلّ مرّةٍ تبقى الهمسات وما دونها منقوشةً في تلك الروح الخضراء، التي لا تدركُ ما يحدث حولها. لكنها ولجفافٍ ما في نسيجها لم تعِ سببه حينها تبتلعُ كلَّ الهلام الذي يحوم حول رأسه من هنا وهناك، وتستنشقُ كراتِ لا بأس بها من البخور المتطايرِ إليها حينما تقضمُ نساءُ العائلة شفاهَهن في جلساتهن التي يقضين معظمها همساً، وتبتلعُ كل النّهرات المرتبكة التي تومئ له بالانصراف من حولهن خشيةَ التقاط الهمس. لتظلّ هذه الروح تُتجاذب ما بين الاخضرار والجفاف وترواحُ بينهما.

ترتطمُ عيناه بالمكان للحظات: المبنى الكبيرُ المثقّب بالأشباح، وجومُ الأشخاص عند بوابته وفي الممرات وهيئتُهم الغليظة، لا يعيرُ اهتماماً لذلك، ينشغلُ بإسراع خطواته مع خطوات أمِّه وأختِ جدته اللّتين تمسكان يديه وأختَه باتجاه الغرفة المنشودة.

بعد مشيٍ طويل يدخل معهم غرفةً تتّشح بالظلمة والياب، لتجترّ أمُّه آلامها وتذرف دموعَها عندما يخبرها المسؤول العتيدُ فيها أن زوجها ليس موجوداً هنا لأنه انتقل لمكانٍ آخر، فيعودون أدراجهم يعدّون الخيبات والسنين، وتقضي الأم وأخت الجدة طريقهما باكيتين، ويظلّ الأب والزوج مجهول المصير إلى الأبد.

ابنُ السابعة أمس يَشخصُ اليوم ذاهلاً بعد ثمانية وعشرين عاماً أمام صورةِ الغرفة التي دخلها طفلاً غريراً ليس له ذنب إلا أنه ابن رجلٍ أطبقت على جسده قضبانُ هذا المكان القميء..

تلك الغرفة التي طُبعت تفاصيلُها المعمّمةُ بكثيرٍ من القبح والفزع والألم في ذاكرته ووجدانه، ليصيحَ بأعلى صوته، مُقسِماً ومؤكداً أنها الغرفةُ ذاتُها التي شهدت غرق أمّه في دموعِها وفي انكسارها، وأنه ينقصها فقط السريرُ العسكريّ ذو الطابقين مقابل المكتب لتكتمل هيئتها.

يدخلُ ابنُ السابعة الغرفةَ غير مدركٍ للقُبحِ الأخلاقيّ للمكان، لكن ثمّة ما حُفر في ذاته الطريّة، وتسرب إليها واستقر رغم غموضه.

ظلّ القُبحُ المعجون بانكسار أمّه منطبعاً في ذاكرته رغم غضاضتِها ورغم قلّة إدراكه، وتكاملَ ذلك مع إلمامه بكلِّ تفاصيل المكان المادية، بل ربما كان ذلك الصّديدُ الثقيلُ من مزيج القُبح والانكسار هو الداعي لبقاء هذه التفاصيلِ في ذاكرته ثمانيةٍ وعشرين عاماً.

ها هو القبحُ يظلُّ أمامنا الآن بجوهره موجوداً كما هو في المكان، لأنه هو.. هو منذ أربعين سنة: لم يغيره شيء، ما حدث فقط هو أنه ظهر للسطح بعد أن كان في القاع. وأن ما غلفه وحجبه الاستبدادُ والظلم عرّاه وهشّمه الزلزال الذي يضرب جذور الظلم ذاته ويهزّ أركانه ويقصمه.. بيد أنه يخبئ في ثناياه طوفاناً من الغصّات والذكريات النابتة من رحم الدموع والفقد والحرمان الخالدين.

ملاحظة: الصورة المرفقة للغرفة ليست تعبيرية، بل هي عينها المذكورة في النص

الحضور العسكري الروسي في سوريا

أحمد الرمح

كثيراً ما تحدث النظام وإعلامه وأبواقه حتى صدع رؤوسنا بالسيادة الوطنية؛ ليبرر تدمير الوطن وقتل الشعب للمحافظة على السيادة المزعومة؟!.

ولقد أقنع النظام كثيراً المجتمع الدولي بأن بقاءه أفضل الحلول السيئة حتى لاتنهار الدولة ولا يتفكك الجيش ولا تحدث عمليات إبادة للأقليات في حال رحيله عسكرياً؟.

والغرب لا يمكن أن يكرر أخطاءه في العراق؛ وليس مستعداً أن يدخل في مغامرة سقوط النظام؛ ولذلك تجده يتناغم مع هذا الطرح الأسدي ويقبل به كثيراً؟!.

ولكن:

السيادة الوطنية التي يتشدق بها النظام؛ تم رهنها لإيران مقابل الدعم الاقتصادي والميليشاوي والسياسي حتى غدت ايران (تتمتع) بتلك السيادة وتستفيد منها؛ ولم يعد النظام إلا ميليشيا من مليشيات القتل الكثيرة في سورية، حتى فقد تلك السيادة. كما أنَّ حجة النظام بالمحافظة على الدولة ومؤسسة الجيش من الانهيار؛ لم تعد مقنعة نتيجة خسائره الميدانية المتلاحقة في كل معركة يدخلها، وبات الانهيار للدولة قاب قوسين أو أدنى من الوقوع.

مع كل تلك الأحداث برز مؤخراً موضوع التواجد العسكري الروسي بشكل فاضح وواضح على الأرض السورية وفي الساحل تحديداً؛ حتى بدت السيادة الوطنية التي تحدث النظام فيها مدعاة للسخرية والضحك؟!. ولكن لماذا تواجد الروس على الأرض السورية في هذا الوقت بالذات من عمر الثورة؟ وما الاحتمالات التي تجعل بقاءه مسكوتاً عنه غربياً؟:

هناك عدة قراءات واحتمالات تفسر بشكل ما هذا التواجد منها:

الاحتمال الأول:

التواجد العسكري الإيراني على الأرض السورية من خلال ميليشيات تابعة له وسيطرتها على القرار الميداني بشكل كبير؛ يضع المجتمعَ الدولي أثناء المفاوضات التي يتم التحضير لها أمام إيران مرة أخرى؟ بعد أن عانى منها كثيراً على طاولة المفاوضات في الملف النووي؛ وقد أثبت المفاوض الإيراني قدرته على المناورة وكسب الوقت، وبالتالي فإن التواجد الروسي العسكري؛ يمنع حدوث ذلك! فإنْ حدثت تسوية سياسية؛ سيجد المجتمع الغربي في الطرف المقابل للطاولة روسيا بدلاً من إيران؟.

ماذا يعني هذا؟:

يعني أن لغة التفاهم بين روسيا والغرب ممكنة ؛ وأن روسيا قادرة بشكل ما على تحويل نتائج المفوضات إلى واقع على أرض الصراع؛ وأن التزام الروس بتعهداتهم أكثر مصداقية من الإيرانيين الذين يتمتعون بتقيّة سياسة كبيرة؛ وعند نضوج التسوية سيكون المحاور الرئيس عن النظام على طاولة التفاوض الروس بدلاً من إيران؛ وهذا يسرعٌ في التسوية كثيراً؛ ليجعل منها اتفاقاً دولياً بين الكبار؛ ولا يسمح لإيران بامتلاك ورقة تفاوضية مهمة تساعدها في عرقلة الاستحقاقات التي ترتبت عليها نتيجة الاتفاق النووي؛ وكذلك يتم إخراجها كلاعب رئيس من المسألة السورية؛ فيكون اللعب بين الكبار فقط؛ ولا يُسمح للآخرين باقتناص شيء من الكعكة السورية؟.

الاحتمال الثاني:

الروس يعلمون جيداً إلى أيٍّ مدى وصل النظام بتقهقره وانهياره وتراجعه ميدانياً؛ وربما ينهار فجأة ؟ رغم أن المجتمع الدولي منذ بداية الثورة؛ صرح مراراً وتكراراً بأنه لا يسمح بذلك؛ ولا يريد حدوثه؛ ولكنه قد يحدث كما صرح لافرورف في لقائه الأخير مع طريف؟!.

في مثل هذ الاحتمال فإن دولة قطر سيكون لها سلطة كبيرة على أمراء الحرب المتواجدين في الميدان؛ وهذا قد يسمح لها بتنفيذ المشروع الاقتصادي الذي تحدثت عنه قبل اندلاع الثورة المتمثل بمدِّ أنابيب الغاز لإيصالها لأوروبا؟. ومثل هذا المشروع يكسر ظهر الاقتصاد الروسي من جهة؛ \من جهة أخرى يجردها من أداة ضغطها على الأوروبيين؛ وكثيراً ما هدد بوتين في أزماته مع المجتمع الدولي بترك أوروبا تموت من البرد خلال أسبوع عندما يوقف تدفق الغاز إليها.

من هنا قد يكون التواجد الروسي العسكري نتيجة امتلاك الروس لمعلومات؛ تنذر بانهيار مفاجئ للنظام؛ وإشارات ذلك بدت في تغريدة ضاحي خلفان الأخيرة؛ وبذلك تكون سيطرتها على الساحل السوري مانعاً تماماً لتنفيذ مشروع الغاز القطري الذي يخنق روسيا اقتصادياً بشكل مخيف؛ ويخرجها كثيراً كلاعب أساسي من القرار العالمي؟!.

الاحتمال الثالث:

التواجد العسكري الروسي إشارة مهمة لاقتراب الاتفاق الدولي على تسوية سياسية؛ لاغالب ولا مغلوب فيها؛ كما ذكر ذلك ديمستورا في إحاطته التي قدمها لمجلس الأمن؛ ومثل هذه التسوية المريرة تحتاج إلى رسائل تطمينات للجهة التي وقفت مع النظام ودعمته خلال مسيرة الثورة؛ وتحديداً طائفته؛ ومثل هذا التواجد العسكري؛ يجعل التطمينات حقيقة واقعة لا وعود يمكن الانقلاب عليها؟ وأفضل التطمينات يتمثل بتواجد قوة عسكرية دولية للفصل بين المتحاربين تحمي تلك الجهة من أي اعتداء ممكن أن يقع لها؛ وبذلك تكون القوات العسكرية الروسية نواةً لقوات دولية ستحضر في لحظة ما لفرض التسوية التي سيتم التوافق عليها بالقوة العسكرية؛ والروس هم أكثر مَنْ يثق النظام به لتنفيذ ذلك؛ ولا مشروع آيديولوجي لديهم كما هو الحال لدى إيران التي شيعت قسماً كبيراً ممن والى النظام أثناء الثورة.

الاحتمال الرابع:

هناك شعور متزايد لدى الروس بأن تقسيم سورية؛ سيحصل عاجلاً أم آجلاً؛ ومثل هذا التقسيم إنْ حصل يسمح لعديد القوى الدولية بالحضور لدعم هذا الطرف أو ذاك ضماناً لمصالحها، ولا يتصور الروس بعد كل ذلك الدعم للنظام؛ أن يخرجوا من المولد السوري بلا حمص، خصوصاً أن هناك ديون لهم على النظام بلغت مليارات؛ وأنها قد تذهب هباء في حال التقسيم؛ كما حدث للسوفييت بعد انهياره وتقسيمه وذهاب كثير من ديونه للدول التي كان يدعمها عسكرياً؟.

فدمشق في حالة التقسيم باتت حصة إيرانية؛ وهناك احتلال ايراني لها لم يعد خافياً على أحد؛ ولن يكون للروس حصة؛ من هنا يكون تواجدهم العسكري في الساحل الضامن لتلك الحصة من الكعكة؛ ويجعل من قاعدتها العسكرية في الساحل ذات أهمية استراتيجية كبيرة.

الاحتمال الأخير:

التقارير الروسية كما تحدثت مؤخراً تقول: إن انهيار النظام بات وشيكاً؛ وهناك تحرك عسكري فرنسي بريطاني أمريكي؛ بدى واضحاً في الفترة الأخيرة؛ وما القرار الفرنسي والفعل البريطاني والتحركات الأمريكية واتفاقها مع بعض الفصائل الثورية وكذلك الكرد إلا مرجح له؛ ودخول هذه الأطراف بشكل عسكري على الخط؛ سيخرج روسيا خالية الوفاض من سورية؛ لذلك لابد أن تستغل تلك التدخلات لفرض تواجد عسكري لها على الأرض يجعل منها لاعباً له دوره في ما سيقع مستقبلاً؟.

عموماً التجارب الروسية خارج حدودها بالتدخل العسكري ذات نتائج مخيبة؛ ولم تمنح الروس إلا خيبات وانتكاسات كانت ذات تأثير استراتيجي على سمعتها ومكانتها؛ وما الدرس الأفغاني ببعيد؟.

ولكن: أين الفعل السياسي لقوى الثورة مما يحدث؛ ولماذا تصرُّ القوى السياسية التي تمثل الثورة على لعب دور المنفعلة بالأحداث وليس الفاعلة؛ ومتى يستعيد السوريون قرارهم الوطني؛ وهل سيكون في المستقبل تواجد عسكري لقوات أخرى تساهم في التقسيم الواقعي لوطن تعب كثيراً من أخطاء وخطايا أبنائه....إنها أسئلة تبحث عن إجابات؟؟؟!!.

نحن بحاجة إلى الإمام الفعّال.. لا القوّال

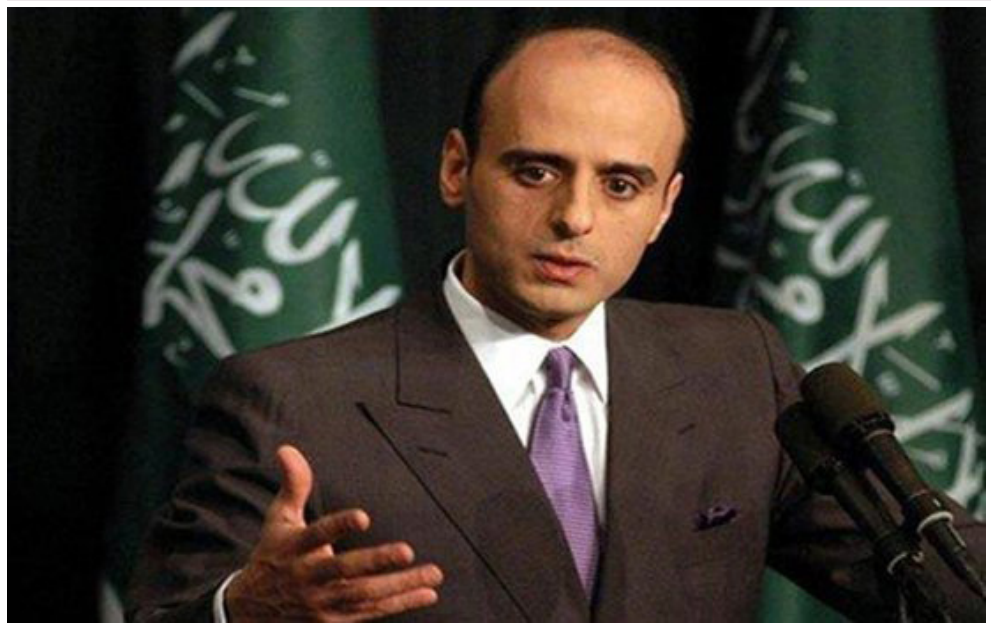

طارق عبد الغفور

السيد وزير الخارجية السعودي عادل الجبير يؤكّد أن لا تغيير في الموقف السعودي، من وجوب رحيل بشار الأسد عن المشهد السوري، إن بحلٍّ سياسي أو بحلٍّ عسكري، والإدارة الأمريكية تؤكّد هي الأخرى مواقفها الكلامية، وتحمّل الأسد المسؤولية عن وجود داعش في سورية. وتتهمه بأنّه لا يحاربها بل يحارب شعبه، وتضع عليه وزر استمرار المأساة السورية، بان كي مون يعتبر فشل المجتمع الدولي في ايجاد حلٍ للأزمة هو المسؤول عن استمرار المأساة، ويتخلّى عن تفرده بالقلق ليشاركه فيه السيد أوباما وجلالة الملك سلمان.

وإذا كنا نثمّن تأكيدات السيد الجبير، فإننا لا نتعاطف مع موقف الإدارة الأمريكية «العلني والواضح والشاجب» لدور الأسد في خلق داعش، لأنه موقف كاذب ومنافق تدحضه أفعال هذه الإدارة منذ بداية الثورة السورية، من منعٍ لتزويد الجيش الحر بالأسلحة المطلوبة، ومن منعٍ إقامة منطقة حظرٍ جوي تدرأ عن المدنيين السوريين جحيم البراميل، ومن منع إقامة مناطق آمنة في أنحاء من سورية، مع قناعتنا بأن هذه المناطق، وخاصة في الشمال لا تُسمن، ولا تُغني بالنسبة إلى ملايين المشردين، ومن السكوت على تجاوز النظام المجرم لخطوط أوباما الحمراء، بالنسبة لاستعمال الأسلحة الكيميائية التي ثبت أنّ النظام استعملها عشرات المرات.

ولكن، وبعيداً عن الدبلوماسية، إذا كان تقرير لجنة التحقيق الدولية التي شكلتها الأمم المتحدة يصل إلى نتيجة أن قوىً خارجية هي التي تدير الصراع في سورية، وفقاً لمصالحها الجغرافية الاستراتيجية، وإلى أن التنافس على النفوذ بين القوى الإقليمية- ودائماً حسب الأمم المتحدة- قد أسفر عن تفاقم يبعث على القلق- لاحظ أن القلق صار سياسة تنتهجها الأمم المتحدة متأثرة بأمينها العام- فلماذا لا يكشف السيد كي مون هذه القوى، ويضعها والمجتمع الدولي أمام المسؤولية، ويدفع باتجاه إدانة تدخل هذه القوى في الصراع في سورية؟ أم أن كشف المستور ليس من مهام الأمم المتحدة وربما كان مخالفاً للقواعد الدبلوماسية؟

وبعيداً عن الدبلوماسية أيضاً، فإن لنا عتباً على السيد الجبير، إذا كنت تؤكد مواقف الشقيقة السعودية في كل لقاء لك مع نظرائك، وكان أبرزهم الوزير لافروف، وإذا كان هذا التأكيد لا يُثمر إلا سلباً، ولا أدلّ على ذلك من موقف روسيا الأخير الذي أعلنه لافروف نفسه، في زيادة الدعم العسكري لنظام الأسد، والموقفين الأخيرين لبريطانيا والنمسا من القبول بالأسد في مرحلة معينة، ناهيك عن أن الإدارة الأمريكية غير عابئة بإخفاء حقيقة موقفها المناهض للثورة السورية، انسجاماً مع استراتيجيتها الثابتة في الشرق الأوسط المبنية على عمودين أولهما، وهو ما يهمنا هنا، وهو الحفاظ على أمن إسرائيل الذي يشكل إنهاك سورية شعباً ومقدّراتٍ هدفاً محورياً لها، والأوربيون يلعبون دوراً قذراً عندما يدعون إلى دمج اللاجئين السوريين في اقتصاد بلدانهم، متجاوزين ما تفرضه عليهم قواعد القانون الدولي الإنساني في تعاملهم مع المأساة الإنسانية للاجئين، مساهمين بإفقار سورية القادمة من شعبها كثروة، فلماذا تقع في فخ إعادة التأكيد؟ وهنا نهمس في أذنك: هل الشقيقة السعودية هي من ضمن القوى الإقليمية التي أشار إليها التقرير الأممي التي تدير الصراع في سورية؟ ظاهر الحال يفيد الإيجاب يا سيادة الوزير، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا تكتفي المملكة كغيرها من الأغراب بإدارة الصراع بدلاً من حلّه؟ ولماذا ترتضي لنفسها دوراً كهذا؟ وهل إطلاق اليد في اليمن مقابل غَلّها في سورية لا سمح الله؟ وإذا لم يكن، فلماذا ترتضي الجلوس في مقاعد المتفرجين على كلّ زُناة الارض يفعلون ما يفعلون في سورية أرضاً وشعباً؟ -رحم الله مظفر النواب- ها أنت ترى أن الأمر في الحالين لا يسُرّ الخاطر فما العمل؟

يُذكر في كتب التاريخ أن أحد الخلفاء – وربما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه – عندما وُلّي الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أنتم بحاجة الى إمام فعّال لا إلى إمام قوّال ثم نزل.

هل تكفي هذه الخطبة القصيرة جواباً على السؤال ياسيادة الوزير؟

تحريم الهجرة أم تحريم التهجير

جمال الفالح

في الآونة الأخيرة تزايد عدد السوريين المهاجرين إلى دول أوربا وخاصة ألمانيا هرباً بأنفسهم وعيالهم من طاحونة الموت الدائرة في بلادهم منذ خمس سنوات، حيث حصدت آلة الإجرام الأسدية أرواح مئات الآلاف من الشهداء، وأكثر من ضعف العدد من الجرحى والمفقودين، وحوالي ربع مليون معتقل بعضهم نساء وأطفال، فضلاً عن دمار شبه كلي في غالبية المدن، وشلل شبه تام في قطاعي المرافق والخدمات، ومع ذلك صبر السوريون في سني الحرب الأولى ونزحوا داخل البلاد إلى مناطق أكثر أمناً، وحتى من اضطر منهم لمغادرة البلاد فقد فضل الهجرة إلى دول الجوار على الرغم من سوء المعاملة، وتدني مستوى الرعاية المقدمة لهم من (الأشقاء)، وصبروا منتظرين أي انفراج لينهوا مشوار الغربة ويعودوا إلى بلادهم، لكن الذي دفعهم للهجرة البعيدة، والتي يخشى من طول أمدها هو عدة عوامل، منها موقف القوى الدولية المخزي إزاء ما يرتكبه النظام بحقهم من فضائع ومجازر لم تميز بين طفل صغير ولا أم ضعيفة ولا شيخ طاعن في السن، حيث توزعت مواقف تلك القوى بين مؤيد للقاتل، وداعم له بشكل صريح وفاضح وبين متواطئ على الثورة في الخفاء وداعم لها دعماً أجوف في العلن، أما مواقف الأنظمة العربية ودول الإقليم من الثورة السورية، فقد كانت في المحصلة متناغمة ومرتبطة بمواقف الدول الكبرى حيث كان لتلك المواقف دور مهم في تفاقم حالة الاحباط لدى السوريين. ولا ننسى ما للمعارضة السورية من دور في فرار كثير ممن رأى في الهجرة أفضل الحلول السيئة، فقد فشلت المعارضة السياسية والمتمثلة بالائتلاف والحكومة المؤقتة فشلاً ذريعاً ولأسباب ذاتية وموضوعية في تقديم المساعدة اللازمة للسوريين المهجرين والتخفيف من مصابهم ومعاناتهم، وينطبق الأمر ذاته على فصائل المعارضة العسكرية في الداخل، فعلى الرغم من التضحيات الجسيمة التي قدمتها تلك الفصائل في مقارعة النظام إلا أنها فشلت في بناء منظومة إدارة للمناطق المحررة تؤمن الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم خاصة في مجالي الخدمات والحقوق أما داعش والتي تسيطر على مساحات واسعة من البلاد فقد كان دورها رئيسياً في دفع الناس إلى الهجرة بسبب أساليب القمع والترهيب التي مارسته على من هم تحت سلطتها... لكل ذلك وتعقيباً على فتوى بعض العلماء بحرمة الهجرة نقول لهم يا سادتي جلّ من هاجر من السوريين لم يختر الهجرة إنما هو مهجر، ليتكم تفطنتم على من ساهم في تهجير السوريين فدنتم جريمته وأشرتم إلى تقصيره بدل أن تصوبوا سهام فتاواكم على الضحايا فما عاد في أجسادهم مرمى لنبالكم.

نقطة أول السطر

إلى إزمير.. خذوني معكم!

إبراهيم العلوش

إلى إزمير وبيدروم يتقاطر شباب سورية وشيبها، باتجاه أوروبا، يركبون البحر ويعبرون الغابات باتجاه الخلاص من القصف ومن الاعتقال ومن التكفير..

كلما سألت عن أحد من معارفك تجده قد سافر أو على وشك السفر، تسأل عن أستاذ الجامعة فيأتيك الخبر بركوبه البحر ليلة البارحة، ومن الممكن أن يعاود الاتصال مساء اليوم، أو تبدأ موجة بحث محمومة لمعرفة أخباره والنهاية التي وصل إليها.. تسأل عن الناشطين، وعن عملاء النظام وعن جنوده الهاربين، وعن شرعيي بعض التنظيمات المتشددة، فتجدهم قد ركبوا البحر، أو غاصوا في الغابات، أو وصلوا إلى اليونان، أو ما يزالون في مقدونيا أو عبروا البارحة صربيا باتجاه هنغارية التي تشمر عن كراهيتها وعنصريتها وتلذذها بتعذيب المهاجرين..

شعب يغادر وطنه ويتركه للمخابرات، ولأجهزة التعذيب، وللبراميل التي لن تجد من تقصفهم فيصيبها الحنين إلى أيام القتل المجاني الوفير!!

ذهب الشعب وبقي الديكتاتور مثل طاعون عصي على الاجتثاث، ذهب المؤمنون وبقي الدعاة والشيوخ الذين احتكروا كلمة الله، واعتبروا أنفسهم وكلاء حصريين للعناية الالهية يتلهون بتوزيع التكفير والموت، ويمارسون التعذيب انتقاماً من أيام اعتقالهم لدى النظام، ويتشفون بعذاب الناس، لأنهم حسبوا أنفسهم آلهة جديدة، لا تُرد كلمتهم ولا تُناقش.. بل لا يُسمح أبداً بالنظر إلى وجوههم التي تختزل حقد العالم وكراهيته منقوعة بكل أحقاد التاريخ، وثريد لحم ضحاياه المتكوم كجبال راسخة!!

بلد يضع عجلات وينتقل، انتقلت الجبال والسهول والصحاري هاربة من وحشية الهوام التي تسكنها، وتبيح لأنفسها، كل هذا القتل، وكل هذا التكفير وكل هذه الأحقاد المزمنة!!

الطفل إيلان لم يكن وحيداً في البحر الذي خطف أنفاسه، ولا كانت أمه الوحيدة التي هبطت إلى قاع البحر، كانت العائلات السورية أكثر من أن تُعَدّ، ومن أن تلاحقها الكاميرات، أو أخبار صفحات التواصل الاجتماعي.

بين إزمير واليونان وطن جديد للسوريين في قاع البحر، وطن للسوريين المجهولين الذين خذلتهم قواربهم البدائية، وراحوا ضحايا المهربين، والسماسرة وظلوا في البحر يتفقدون سجلات التاريخ بين أثينا وطروادة، ظلوا مسافرين بلا مواعيد للوصول، وبلا هواتف للاتصال، وظل حلمهم بالخلاص والسلام والحرية محلقاً فوق البحر الذي ابتلعهم، مثل عاصفة من نوارس بيضاء ضاعت بوصلة توجهها وظلت تتخبط في فضاء المكان!

من يعيد السوريين إلى قراهم، وإلى مدنهم وإلى بلادهم، التي تنأى عنهم يوماً بعد يوم؟.. من يعيدنا إلى حلم الحرية التي كنا نطالب بها في بلادنا، وليس في بلاد الآخرين؟... لقد تحول السوريون إلى حلم، وإلى توق عاصف للحرية، لكنهم فقدوا البلاد التي سينصبون عليها مرساة أحلامهم.. لقد ذهبوا في ديار الله الواسعة، ولن تعيدهم إلى الأرض التي أحبوها إلا معجزة كبيرة من معجزات الزمن الضائع... لقد تناثروا مثل ريش أبيض في يوم عاصف فمن يتكفل بجمعهم.. من يعيد الناس إلى ديارهم...؟

التلفونات ترّن من جديد نسّلم عليكم فنحن ذاهبون إلى إزمير .. نطمئنّكم لقد وصلنا إلى أثينا .. ابن خالتي وصل إلى برلين... جارتنا وصلت إلى هنغاريا، وضاعت مع عائلتها في غابة مجهولة... نسّلم عليكم.. فقد فشلنا في الوصول إلى النمسا، ونمنا ليلة تحت المطر.. ولكننا سنصل حتماً بعد يومين إلى فيينا... لقد وصلنا إلى ميونخ، لقد وصلنا إلى فرانكفورت، لقد وصلنا إلى امستردام، لقد وصلنا إلى استكهولم، إلى النرويج.. إلى الدانمارك.. إلى القطب الشمالي باتجاه أوسلو.. لقد وصلنا بعيداً.. بعيداً جداً عن سورية!!!!

نزوح عابرٌ للدول

نجاة عبد الصمد

أنا الصبية السعيدة الحظ ما تزال أنفاسي تعلو تهبط، وقلبي ما يزال يخفق بانتظام. وأمي كذلك، إلا أنّ خفق قلبها صار ينتظم حيناً، وأحياناً يتقطّع. لذلك فأنا منذ اليوم ربّة من بقي من العائلة بلفور أصل علّتنا المزمنة. لم أكن جئتُ إلى الدنيا حين أنجزتْ عائلتنا نزوحها الأول من فلسطين إلى الأردن إثر وعده ذائع الصيت. ثم حمل جدي من استطاع من عائلته، وجاء بها إلى مخيم اليرموك. طاردتنا شرور بلفور حتى بعد اهتراء عظامه بوقتٍ طويل، لتبتلينا بنزوحٍ جديدٍ من سوريا إلى لبنان إثر (مؤامرة الكون) على سوريا. لم ننزح إلى لبنان بغربةٍ كليّة؛ لأنّ أحد معارف أبي تبرّع باستضافتنا. أسكننا في بيته المتواضع في ضاحية بيروت الجنوبية. لم يكن مضيفنا الكريم قريباً لنا برابطة الدم، هو صديق أبي الذي اشتغل معه في الكويت في الثمانينات، وعادا كلّ إلى بلده بعد حرب الخليج الثانية. لم نهنأ في أمان بيته أكثر من أسبوعين. تجمّع الجيران في بيت الضاحية وأجبروا مضيفنا على طردنا. هم يعرفون أنّ أسلاف عائلتنا قد ناصروا معاوية، ولم يغيثوا أبناء الإمام عليّ يوم وقعة كربلاء. لكنّ حماسهم لم يفض إلا بعد خطاب السيّد يستحثهم على نصرة السيدة زينب، المستغيثة بهم من مرقدها في الشام. نزوحنا من الضاحية كان الأصعب. فبعد أن كنا المشاهدين؛ صرنا نحن تلك الصور (الحصرية) التي تبثها شاشات الفضائيات المواكبة للحدث: صرنا نحن الوجوه المذعورة التي تتطلّع حولها في شوارع بيروت الغريبة. صرنا نحن الأيادي المثقلة بالصرر الخفيفةٌ، والأرجل الرخوةٌ التي تمضي إلى لا هدف، وتستريح تحت ظلال الشجر، وتعثر على كراجٍ مهجورٍ يصلح للمبيت. تظنّ مقامها فيه قصير، وإذا به لا ينتهي بعثنا إلى إخوة أبي في البرازيل وفي كندا، لعلهم يجدون سبيلاً لعوننا وظلّ أبي وإخوتي الثلاثة يبحثون عن عمل. اشتغل أبي وأخي الأكبر في مصبغة في قلب بيروت. يعملان معاً بأجر عاملٍ لبناني واحد، وبدوامٍ أطول من دوامه بساعتين. في ذلك المساء اشتعل الرصاص في الساحة أمام المصبغة بين لبنانيين منقسمين إلى أنصار المانعة وأنصار أعدائها. واستقوى الفريقان بشريعة النار، وتمطّت شظايا سخية من الفريقين على امتداد جسد أبي وأقل سخاء منها في بطن أخي. استراح أخي الأكبر من طحاله ومرارته وثلاثة ارباع كبده. انتزعها الطبيب منه مع الشظايا التي آخت أحشاءه بوفاءٍ قلّ نظيره لغريبٍ في بيروت. وما يزال أخي في المشفى. لا يريد أن يموت. لا لأن الحياة حلوةٌ، لكن لأنه لا يريد مصير أبينا. احتضر والدنا في إحدى مشافي بيروت أياماً عشرة، كنا خلالها ممنوعين من زيارته في قسم العناية المركّزة ريثما ندفع أجور رقاده هناك، وأجور الأطباء، وكلفة الأنابيب الموصولة إلى جسده المثقّب بالشظايا وبالنزوح وبالفقر الطارئ. ربما، في احتضاره الطويل، آنسته تذكاراته التي لم يلحق أن يجلبها من بيت المخيم: صورٌ كثيرة لأركان عائلتنا الموزّعةً بين القارات الخمس، علب دواء السكر والجلطات على الطاولة أمام الصور، مفتاح بيت يافا الصدئ، المعلّقٌ على الجدار خلف الطاولة. أبي يحتضر في المشفى، وأمي التي واضبت على الركوع أمام إدارة المشفى أياماً عشرة، لم يشفع لها، لا استرحامها ولا احتراق عينيها ولا انفراط قلبها. تعود من هناك كلّ يومٍ أكثر ذلاً، وتصرف وقتها الثقيل بالطواف حول جدران الكراج، تصلّي لكي يعود أخواي الصغيران من دمشق. كانت أرسلتهما فور دخول أبي إلى المشفى، ليأتيا بالمال من أختي المقيمة مع زوجها في دمشق، المال الذي سيفكّ الرهن عن احتضار أبي أصرّت أن يسافرا معاً ليكون واحدهما عوناً لأخيه. فأخي الأصغر مريضٌ بالسكر الشبابيّ، وعليه أن يزور طبيبه في الشام. ماتزال الشام الجريحة أرأف بأهلها من سعير بيروت. ومات أبي. مات ولسنا حوله لنقول له: نحبّك يا أبي، ولا مَن يقرأ الفاتحة على روحه، أو يُسبِل عينيه على حياته الرخيصة الآفلة، أو يلقح بطانيةً تستر عريه وجروحه السائلة قيحاً وذعراً من شدة وحدته رماه عمال المشفى في ردهة المشرحة رحمةً بأسرته من أن تضاف إلى فاتورتها تكلفةُ التبريد داخل المشرحة. مضى أسبوعٌ على حجز الجثة في الردهة الضيقة. وطافت رائحتها في حنايا المشرحة لتبعث مراسيل احتجاجها: لماذا بادرها السيد بلفور أولاً، وبعده العصابات الكونية، بهذه الإساءة الثقيلة، أو لتستفسر من جدّها معاوية عن الشعرة المعيذة من أهوال الحروب، أو لتسأل ملاكي الموت أن يرسلاها إلى تراب فلسطين، أو إلى تراب ريف الشام، أو إلى الخلاص في رحمة التراب، أيّ تراب. ولم يعد أخواي. ولم يكونا وصلا إلى دمشق. ولم يلتقيا أختنا فيها. احتجزهما الحراس السوريون على الحدود اللبنانية بتهمة أنهما فلسطينيان. يستطيع الفلسطيني أن ينزح من سوريا متى شاء، أو متى نفد صبره من الخوف أو من الجوع. ولو نزح، فليس له أن يعود إليها. كانت تهمة أخويّ مضاعفةً لأنهما فلسطينيان أولاً، ولأنهما يحملان وثيقة سفر للاجئين الفلسطينيين صادرة عن الحكومة الأردنية. تصادف عبورهما للحدود مع طرد السفير السوري من الأردن بعد تصريحاته غير اللائقة بحقّ الحكومة الأردنية. ولن تسكت الحكومة السورية على الإهانة الشنيعة، وستبعث أولى طلائع ردّها عبر أخويّ. جرّدهما حرس الحدود من هاتفيهما الجوالين، ومن هديتهما الصغيرة لأختهما، ومن سترتيهما الجلديتين، ومن المال القليل الذي كان معهما، ورحّلاهما بالقميص الداخليّ والبنطال إلى أقرب سجنٍ يودعانهما فيه ريثما تكتمل قافلة فلسطينيين مثلهم، ترحّلها الحكومة السورية على نفقتها لترميها، هديّةً ملغومةً، على الحدود الأردنية. عرفنا مصيرهما متأخرين. كنا انطفأنا تماماً بعد اختفائهما، ولم يوقظنا من مواتنا البطيء سوى نداء الرائحة من ردهة المشرحة. طفتُ مع أمي نطرق أبواب الطبيبين، نشحذ فكاك الرهن عن جثة أبي، ونحظى أخيراً بدفنه في مقبرة الغرباء، وأعود منها أنا وأمي إلى خيمتنا لصق الكراج، نحن (النازحتان) اللتان سيصبح اسمنا بعد يوم الدفن: يتيمةً وأرملة

«دوما»..

محاسن سبع العرب

صباح الخير يا «دوما»..
صباح أسود أغبر..
صباح يبتر الأعضاء..
ويدفن بعضهم أحياء..
ويقتل كل من كبر..

صباح آخر دموي..
تلون فيه شارعنا..
بلون الحرب.. بالأحمر..

صباح الخير..
على أجساد من رحلوا..
هي الأيام يا «دوما»..
تعيد الموت..
ونحن كما عهدتينا..
نيام منذ أعوام..
غفونا بعد «نكبتنا»..
وما زلنا..
كأن النوم يعشقنا.. فيسكننا ولا يضجر..

صباح الأرز والزيتون والنارنج والزعتر..
صباح مثل أحلامي..
تضيق علي إذ أكبر..

هم الأطفال يا وطني..
هم الأطفال..
من يغفون بين بنادق العسكر..
وقد ضموا أصابعهم..
على قطع من السكر..
وبين شفاههم تلهو..
أغان للغد المزهر..
وفي أحلامهم رسموا..
القرى والسهل والبيدر..

مساء الخير يا «دوما»..
فمن خجلي.. صباحي لم يعد يذكر..

الحجـاج والصـورة المشـوَّهة للتاريـخ

عصام حقي

في مستهلّ سبعينات القرن الماضي، وفي المهرجان الأول للشعراء الشباب، الذي أقيم على المدرج الكبير لجامعة دمشق، ألقيت -مندوباً عن الرقة - قصيدة مستوحاة من جراح نكسة حزيران وآثارها العميقة في نفوس الشاب العربي.

وقد نالت القصيدة استحساناً كبيراً لدى الجمهور، كما لاقت كثيراً من الشجب والاستنكار على المستوى الرسمي، في صورة احتجاج على استعارتي من التاريخ، شخصية الحجاج الصارمة، وتوظيفه في مقطع منها كمنقذ للوطن ولما تبقى من سمعته وكرامته الغارقة في خضم الظلمة الحالكة التي كان تائهاً فيها، ومما جاء فيه:

أيا حجاج.. يا حجاج
يابن جلا
ويا طلّاع هاتيكَ الثنيّاتِ..
متى تضع العمامةَ
إن هذي الخيلَ قد فرّت من الميدانِ
لا تلوي على خجلِ
فيا حجاج، أنقذنا
وعلّقنا على الأعواد... علّقنا
لكي نخجلْ
لكي نسمو إلى الأعلى
على جثث الخياناتِ...!

والحقيقة أنني كنت اتّكأت في هذا الإسقاط على الوجه الإيجابي للحجاج في التاريخ، لأن له فيه وجهين متناقضين تماماً. أحدهما إيجابي يظهره قائداً عسكرياً وسياسياً كبيراً، وإنساناً عربياً ومسلماً مؤمناً ملتزماً عقيدته منافحاً عنها. وثانيهما يظهره مبيراً (مهلكاً) سفاحاً، مكروهاً وخاصة من الشيعة لعدم احترامه آل البيت (كما يزعمون)، حتى إنهم -كما تقول المصادر- صوروه شيطاناً، بل ادعوا أنه كان مكروهاً حتى من الأمويين، والخوارج لحربه لهم.

لقد وقع الحجاج بين وجهتي نظر تاريخيتين متناقضتين، متوازيتين مع التناقض في المجتمع نفسه وصراعه الطائفي والمذهبي وغيرهما.

ولا بد - والحالة هذه - من قراءة متأنية قبل اعتماد المقارنة بينهما والحكم فيهما: فابن تيمية مثلاً يدفع عن الحجاج تهمة هدم الكعبة المشرفة، في قوله:

كان الحجاج بن يوسف معظماً للكعبة، ولم يكن عدواً لها، ولا أراد هدمها بوجه من الوجوه، ولا رماها بمنجنيق أصلاً، ويواصل ابن تيمية سرد الواقعة مؤكّداً حرص الحجاج عليها، وحقيقة محاصرتها وأسبابها. أما ابن كثير فقد قال: كان في الحجاج شهامة عظيمة وفي سيفه رهق، يغضب غضب الملوك، وكان جباراً عنيداً، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة.

ويواصل قائلاً فيه: كان الحجاج يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم.

فالحجاج تعلم القرآن والحديث، وعلمه، وأمر (نصر بن عاصم) بتنقيط حروفه، وتقسيمه إلى أجزاء وأحزاب وأرباع كما هو اليوم.

ومن جهة أخرى فهو أول من صكّ العملة الإسلامية، ونقش الشهادتين عليها، كما عرّب الدواوين، وفتح الهند والسند وخوارزم، بل هو من بدأ فكرة الفتوحات الأندلسية، وله كثير من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ممّا لا يتسع المجال لذكرها هنا.

ولكن لا بد من التنويه بأنه كان موضع ثقة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد من بعده، فقد ولاه عبد الملك قيادة الجيش، كما ولاه مكة والمدينة والطائف، ثم العراق لقمع تمرّد فيه.

وقد أقرّه الوليد على كل ما أقرّه عليه أبوه عبد الملك، وقرّبه إليه أكثر، واعتمد عليه.

كما كان أهل الشام أكثر محبة للحجاج، ونصرة له، وهو كان بدوره يحبهم ويشيد بهم دائماً، ومعظم جيشه منهم.

فهل تتناسب هذه المكانة العسكرية والسياسية والدينية مع روايات أعدائه السلبية الكثيرة كرواية (نعم ونعمة)، و(رواية الحجاج وغلام بني هاشم) وغيرهما؟!

ولنستعرض أشهر تلك الروايات، ألا وهي قصة زوجته هند بنت النعمان، والتي جاء فيها ما يدفع إلى التهكم والسخرية والتعجب!

حيث يقدّم أحد الرواة القصة تقديماً ساخراً فيجعل هنداً تجترئ عليه، وتصفه بالكلب، وتبدي فرحاً كبيراً بتطليقها منه، وتنشد البيتين الأكثر شهرة فيه:

وما هند إلا مهرة عربية
سليلة أفراس تحللها بغلُ
فإن ولدت مهراً فلّله درّها
وإن ولدت بغلاً فقد جاء به بغلُ

وقد اشتهرت هذه القصة في شكل حكاية شعبية، للسخرية منه، والتهكم عليه بلسان الكثيرين من خصومه، وإمعاناً بالتنكيل به فقد استكملوا ذلك بحكاية زواجها من الخليفة عبد الملك بن مروان، واشتراطها للقبول به زوجاً أن يقود الحجاج جملها من معرة النعمان إلى دمشق سيراً بقدمين حافيتين، ولمسافة لا تقل عن ثلاثمئة كيلو متراً بالمقاييس الحديثة!

وقد عقّب أحد النقاد على هذه الحكاية بقوله:

بقدر ما تبدو الرواية سخيفة، فاقدة لأبسط القيم الإنسانية والجمالية، يبدو في قبول الخليفة بشروط هند امتهاناً له شخصياً قبل امتهان الحجاج.

لقد تعرض الحجاج للتجريح كثيراً في حياته، وبعد وفاته، مثله في ذلك مثل معظم الرموز التي كُتبت في الصفحات المشوّهة، وبالأصابع الخفية لكتبة التاريخ. ولا بد -والحالة هذه- من إعادة قراءة التاريخ قراءة صحيحة متأنية، تعيد الحق إلى نصابه وتهوي بالباطل إلى مهاويه الطبيعية، التي يجب أن يكون فيها.

أيام الدرويش الستّة

خالد الجبور

(1)
بعض الأيام تتأخر في الحضور
في انتظارها أُطعِمُ شغفي للضجر
أهدهده طويلا لينام
أمنّيه بما لي وله في حقائب الغياب
لكنه يموتُ أمام عينيّ
فأنسى، في الخواء، جثته
وأتركها للأيام التي لا تجيء.
(2)
أيامي البعيدة المبعثرة كأوراق الخريف
تنكرني وأنكرها
فما الذي يجمعها لتدق بابي في الليالي الباردة؟!
لا حطب في قلبي لأشعله لها
وليس في كأسي قطرة من الحنين.
(3)
بعض الأيام تمرّ من بعيد
تسير في طريقها المستقيم الطويل
هي ذاهبة إلى غايتها
وأنا ذاهل عنها وعنّي.
(4)
الأيام اليتيمة في حياتي
الأيام التي لا أعلم أين هاجرت
أظنّها شابت هي الأخرى.
(5)
بعض الأيام أنا أصنعها
قليلةٌ لكنها طويلة المقام
بسببها فقط تمتلئ روحي بالامتنان
حتى أنني أدني النجوم وأرفعها
أفكّ ألغاز الليل، وأنشرها
أجمع ضوء النهار في سلة
وأهديه إلى الحياة.
(6)
بين الأيام أيامٌ تأكلني
إنها تلك التي أسقط في قعرها
لا طاقة لي فيها حتى على جسّ الظلام
لا حاجة لي فيها إلى الهواء
ولولا أنني أعرف رائحة البرد
لظننتها من هبوب رميمي.

وداعًا يا نهر الخابور ـ 2 ـ

آرام كربيت

وقف ينظر إليّ، وعيناه تكادان تطيران في الهواء من شدة الاستغراب. تلعثم، نظر إلى ضياء مستغرباً، ثم التفت إليّ مرة أخرى، وكأنه أمام وباء

ـ سجين سابق؟

ـ وماذا به السجين السياسي؟ إنه إنسان مثلك. ما الذي يخيفك منه؟

ـ أنا لا أخاف منه، مستغرب أن هناك من يستطيع أن يكون سجيناً في مثل هذه الأيام؟

كان شهر آب منتصباً، يبث حرارته في الأرض، يلهب الطرق والجسور والساحات بنيرانه وشمسه الحادة. كان لدى أهلي مكيف على الماء يرطب الغرفة في بيتنا. جاءت أختي صونيا وسيلفا من السويد للترحيب بي، ودعمي، كما جاء أبي وأمي. رأيتهما، كأني لم أغادرهما أبداً. لم أستطع أن أفرح بهما، كما لم أستطع أن أحزن، كنت حيادياً في مشاعري. لم أتدخل في محاولة معرفة سبب نكوص حالتي، وسبب هذه السلبية الغريبة، وهذه القيم اللامبالية التي أحملها، اللا إحساس باتجاه كل ما يدور حولي. كنت مثل واحد تعرض لصدمة في الحواس وخراب في المشاعر والعواطف. لم أكن من قرر هذه الحالة، العوم فوق الواقع والانفصال عنه وعن الناس والمجتمع والزمن. قبلت الجميع كما قبلوني كعادة مكررة، كشيء تلقائي، يحدث يومياً.

ذبحت والدتي خاروفاً بالرغم من رفضي لهذه التمثيلية البائسة كفرح لخروجي من السجن. كنت مع الناس، بينهم، بيد أن المسافة بيننا كانت كبيرة وواسعة، لا يمكن أن يرممها الزمن وتكرار الأحجيات اليومية. رأيت الكثير من الأصدقاء الجدد يحاولون كسب ودي، التقرب مني، حاولوا بكل صدق أن يكونوا إلى جانبي في هذه الأوقات. مدوا لي يد العون، الخير والمساعدة كأنهم أخواتي وأهلي أو كأنهم بعضي. الكثير تعاطف معي والكثير قال عني إنني مجنون، لأنني تركت الحياة، جمالها، رحابة المكان فيها، سعتها واخترت المكوث في السجن، والعيش في حيز ضيق، وفي مكان مضطر وقاسٍ، فيه حرمان من أبسط قواعد العيش والحياة. لم يتجرأ الكثير من أبناء بلدي، تحميل الطغمة الحاكمة مسؤولية محنة الوطن، حملوها للضحايا.

أغلبنا لا يعرف حقيقة ثقافة الاستبداد، لم نتغلغل فيها، لم نحفر في عمق تكويننا الثقافي والنفسي. لم نعرف حقيقة تفكير الإنسان البسيط في بلدنا. تناولنا القضايا المعقدة بعقلية سطحية وتحليل بسيط. لم نحلل، لم نحاول أن نعرف، لماذا الأهل لا يقبلون زواج ابنتهم من شاب مستوى معيشته متواضع، اكتفينا بالقول أن السبب هو المال، بيّد أننا لم ندخل إلى أعماق العقل، كيف تكون، وكيف يفكر أو يبني ثقافته وتكوينه النفسي والعقلي، وكيف الخروج من هذه الذات المتمحورة حول نفسها. لماذا يعشق المستبد المتمثل بالحاكم، لماذا يخر أمامه ساجداً كعبد ذليل. ولماذا يستمتع بهذا الدور؟ ولماذا يشعر بالأمان بوجود المستبد، وبالحماية أيضاً.

عندما كان يهل الليل وتنام الشمس وراء الأفق ويغيب الناس، وأبي وأمي، كنت أتسلل من البيت لأذهب إلى الخابور. أجلس وحيداً، أنظر إلى الخلاء والصمت. في هذه اللحظة الحميمية عندما تبتعد الذات عن الخرين تبدأ في نسج علاقة حقيقية مع الذات، علاقة متفردة، لذات الذات، لوحدهما، علاقة وشيجة بين الغربة والحزن والجفاف وغياب أو انزياح الجمال والفرح أو هروبهم من الأرض والسماء والمكان.

أغيب، أذهب إلى البعيد، إلى خبز التنور. كنت أرى وجه أمي الجميل، عندما كانت تقف أمام التنور، احمرار وجهها، علامات التعب والكد في عينيها، براءة ذلك الزمن المنصرم، حيوية والدي، اندفاعه نحو الأمل، بغد أجمل. أعقد مقارنة بين الأمس واليوم، بين زمنين، كلهما زمن الإنسان المهزوم. لم يكن هناك ماء أو شجر أو لون الحياة على ضفاف الخابور. كان جافاً. أجلس في هدأة الليل الحنون على الضفة الحزينة أتامل هذه الذات، النهر الميت، أحدثه والألم يعتصر قلبي:

ـ لماذا مت أيها الرهوان الجميل؟ ما زلت شاباً، في أنفاسك روح الوجود؟ أذكرك عندما كنت صغيراً، كنت أخضر، حنوناً، ملأت حياتي بالأمل، باخضرار الزمن والحياة. آه يا نهر، يا وجع الطبيعة والبقاء، كم أحن إلى زمنك الدافق، زمن توحدي بك، بجمال وجودك بيننا. أنظر إلى الصمت، الفراغ، الجفاف انفصال الكائن عن الكون. هذه العزلة بالقرب من رحابك، موتك، هو أنا، أنت.

أشاهد، الطبيعة الحية الميتة، وجفاف المكان وقدرة الناس على هضم الخراب والتعامل معه ببرودة أعصاب أو لا مبالاة. أسمع هسهسة الوجود، الخلاء المملوء بالصمت. هذا الفراغ الطاغي فرض نفسه علي مثلما فرض الزمن قدرته علي، على عدم التصالح مع ما كان وما هو كائن. قلت، بينما عيناي ترسم الدوائر وتلون الأبعاد:

ـ هنا كنا نسبح، نمشي، ونقضي الأوقات الحنونة بصحبة الأصدقاء، الحبيبة. نصيد السمك، ونتأمل أو نترك خيالنا يسرح حول الدفق القادم مع نهر الخابور، وبقائه بيننا كقدر جميل، كلوحة فنان خطها بريشته البارعة أو قصيدة شاعر يغازل حبيبته أثناء الوله بها.

فنان الثورة السورية مالك جندلي

ولد في ألمانيا عام 1972 من أصول سورية من مدينة حمص، ويقيم في أمريكا. بدأ بتلقّي علوم الموسيقى في الرابعة من عمره، وكان أول حفل بيانو له على خشبة المسرح في الثامنة من عمره. التحق بالمعهد العربي ثم بالمعهد العالي للموسيقى في دمشق، وتتلمذ على يد البروفسور فيكتور بونين من كونسرفتوار تشايكوفسكي. من أهم عازفي البيانو، قدّم أعماله برفقة العديد من الفرق السمفونية العالمية على أهم المسارح في الشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة وسورية، وهو عضو في الجمعية الأمريكية للمؤلفين الموسيقيين.

أول مؤلف سوري وموسيقي عربي قام بتوزيع أقدم تدوين موسيقي في العالم اكتُشف في مدينة أوغاريت رأس شمرا - سورية على لوحات مسمارية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد. أضاف إليها الإيقاع والهارموني، وعزفها على البيانو برفقة فرق موسيقية عالمية، شكلت لوحة فنية رائعة، عملاً موسيقياً فريداً أطلق عليه اسم «أصداء من أوغاريت».

حصل على جائزة حرية التعبير لعام ٢٠١١ في مدينة لوس أنجلس لأغنيته الشهيرة «وطني أنا» ومواقفه الإنسانية المساندة للربيع العربي و الثورة السورية دفاعاً عن الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

كُرم بجائزة الإبداع الثقافي في مدينة نيويورك في عام ٢٠١٢ تقديراً لفنه وجهده الذي أثرى ساحة الموسيقى العربية.

حملته الموسيقى، التي تعلمها في ألمانيا وسوريا، إلى أن نال الجائزة الأولى في المسابقة الدولية للموسيقيين الشباب في عام 1988، وهو لم يكمل بعد سنه القانونية، فأخذته بعيداً جداً، ونقلته، بمنحة دراسية لإتمام دراسته الموسيقية عام 1995، إلى معهد الفنون لولاية كارولينا الشمالية في أمريكا حيث حصل على العديد من الجوائز خلال دراسته مع البروفسور إريك لارسن.

حصل على جائزة أفضل عازف بيانو من جامعة كوينز الأمريكية تحت إشراف بول نيتش وتخرج منها بدرجة امتياز عام 1997. كما نال الجائزة الأولى في مجال التأليف الموسيقي من هيئة المؤلفين في ولاية جورجيا عام 2003.

تابع دراسة التأليف والتوزيع الموسيقي خلال فترة تحصيله لشهادة الماجستير في إدارة الأعمال وتخرّج بدرجة شرف من جامعة شمال كارولينا عام 2004.

حصل على جوائز عربية وعالمية عديدة وهو عضو تحكيم دولي في مسابقات العزف على البيانو بدءًا من عام 2005.

منحته مؤسسة كارنيغي الأميركية لقب «المهاجر العظيم» لعام 2015 لما يبذله من أجل العطاء الفني في إغناء الثقافة الأمريكية ومساهمته في تطوير المجتمع. وضمت لائحة الفائزين لهذا العام 38 شخصية أمريكية مهاجرة من 30 جنسية عالمية. وفي مؤتمر صحفي عقده الفنان في مدينة نيويورك أهدى جندلي هذه الجائزة لأطفال سوريا والعالم أجمع، خاصة اللاجئين والمهجرين الذين يطالبون بالسلام والعدالة وحقوق الإنسان.

سوري طفران في بيروت

شاهر خضرة

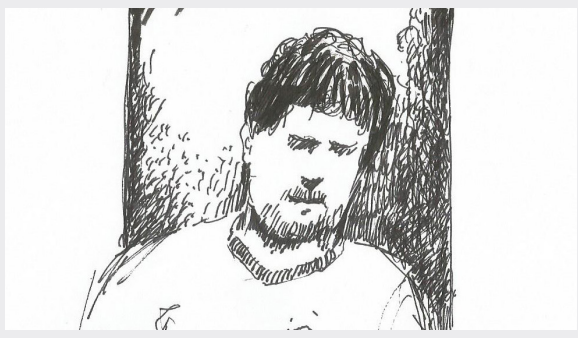

1-

في شارع الحمرا أبو الحنّاء
كان يسيرُ تحت الشمس
كنتُ أسيرُ كالمنبوذ خلف
خطاه
يدخلُ ظلُّه عِبرَ الزجاج
أراه منصهرا مع الألوان
ملتبساً بأزياء النساء الصُمِّ
يشدو تارةً بين التنانير
ا لشفيفةِ
تارةً تتأرجحُ الخيطانُ في
عينيه
يخلعُ ريشَهُ ويطيرُ في المرآة
يخجلُ
إذ يرى خيطاً تدلّى أخضرا
من لون ذاكرةٍ ، كشهوة
عينه في ليلة ليلاءْ .
تتحوَّلُ المرآةُ ظلّاً للسرير
يصيرُ صوتاً في قفص .
يمشي أبو الحنّاءِ في البوتيك
يخلعُ ثم يلبسُ
ثم يحملُ ريشه ويطيرُ
لا يبقى سوى ظلّي
الذي آن استفقتُ ...
أظنُّه ما زال يمشي تائها في
شارع الحمراء .

***

2-

سيجارتي تُمتصُّ
طاولتي بلا جدوى تذكِّرُني
بأثداء الرجالِ
وقهوتي برَدَتْ
وفي بيروتَ يمكنُ لانتظارٍ أن
يصيرَ سلالةً
بين الكؤوس
وأن يصيرَ الدهرَ في العمر
العقيمْ.
لكنني ما جئتُ إلّا لانتظارٍ
ربما تأتي ...
تفاجئني ...
ففي بيروتَ قد تأتي النساءُ
بدون وعد
مثلما
أتناولُ الأكوابَ ،
أشربُ قهوةً
أتلمَّظُ الفنجانَ بيرةَ
والزجاجَ عبابَ بحرٍ
ربما تأتي ...
ولكنّ انتظاري دائما محضُ
انتظارٍ
قلتُ في بيروتَ ليس دمشقَ
ثمَّت من ستدخلُ ...
ها هما شفتان بينهما سوادٌ
كان أصبعها يُشيرُ عليهما
من ذا سيفرضُ أنها كانتْ
تشيرُ إليّ
أو كانت تُشيرُ إلى خيالِ .؟

***

3-

لا مال في جيبي صباح اليوم
في بيروت
كنتُ أنامُ في سيارةٍ من دون
أبوابٍ
صحوتُ
شممتُ ريحة قهوةٍ
من بيت جارتنا (ببرزةَ)
آه يا سلمى ...
خرجتُ إلى الطريق
دققتُ باباً
ثم باباً
ثم نافذتين
تطردني الملامحُ
مرّ بي رجلان في سيارة
نظرا بلؤمِ شماتةٍ لهويّتي
لكنَّ خادمَ في الطريق بكت
بأعينها الغريبة
ثم مدّت لي ببعض سجائرٍ
أشعلتُ واحدةً لتختبئَ
الدموعُ وراءها
وشتمتُ في سري
بقايا ما تبقّى من (سعادةَ)
داخلي
ولعنتُ سالف كذبة االتاريخ
والجغرافيا .

***

4-

ها صرتُ كالشحّاذ في المدن
الشقيقة
هكذا يا أمتي ؟
إسمُ ابنتي في مكتب التزويج
؟
شكراً أخوتي
والخبز مُرٌّ مثل طعم
كرامتي .
أَوَهكذا يا انتمائي ؟
هكذا يا ثورتي ؟

***

5-

خبَّأتُ إيماني لأخفي ما أنا
لأدورَ بين الطاولات فلم أذق
خلطَ الطعامِ من (الأحد)
حنّت عليّ الطاولاتُ بمنّةٍ
موَّتُّ سمعي
كي يخضنُ بسيرتي .

***

6-

تلفنتُ هذا اليومَ
قالتْ لا تتلفنْ مرةً أخرى
فسألتُ ذاكرتي فلم تسعفني
في ذكرى
ووجدتُ في نفسي لها عذرا

***

7-

في الموت يدفنُ كلٌّ في مقبرة
طائفته !.
أين يُدفنُ السوري العلمانيُّ
في بيروت ؟

***

المفكر القلق «2»
«تعقيباً على حوار المفكر السوري د. طيب تيزيني»

أسعد فخري

لعله من غير اليسير الإحاطة بغواية التوظيف الذي لهث خلفه «المفكر طيب تيزيني»، وفي ظنه تقديم سردياته التاريخية، والسياسية، وفق منظور «العقل الأداتي» الذي يمتلك التوصيف والاستقراء، ومن ثم الاستنتاج كمعيار أساسي يتم التصدي من خلاله للأسئلة الكبرى التي تطال تحولات أنساق تاريخ الشعوب، ومفاهيم أخاديع حكامها، وسلاطينها في الوقت الذي راحت تتدافع أفكار «تيزيني» وتأملاته الاستنتاجية المقاربة، وفق إيقاع رتيب، تداخلت فيه شواهد الوقائع السياسية بصورة لا تقبل الشك على تعجلها، وافتقادها لمقدرة التريث أمام مفاصل شديدة الأهمية، والوقع مما جعلها فريسة لحالة من التشظي، والتفتيت، والبعثرة بيد أنه كان من الأحرص على «المفكر تيزيني» بذل المزيد من التفكر، والتأمل للخروج من مأزق محاكمة الظاهر على حساب باطن عمق المشكلة، ومتوالياتها التاريخية، وهذا كان سبباً مباشراً، وأساسياً لغياب استمالة الأدوات والكواشف اللتان تمثلان البعد الأكثر حيوية في إزالة اللبس الذي يطوق إجرائية أدوات التفكير من خلال إيجاد معايير كاشفة تستطيع ملامسة جوهر المشكلة، وبالتالي تقري أبعادها، وانعكاسها على موازين القوى الأكثر ضراوة في الصراع الذي يدور داخل متون الثورة السورية، ومتواليات التصعيد فيها.

2. استيقاظ التوحش في الإسلام:

يمكننا ابتداءً تسليط الضوء على آليات التقصي داخل حفريات المكاشفتين، الفكرية، والسياسية عند «المفكر تيزيني»، وذلك بالعودة إلى مقاربة فهمه لاستيقاظ التوحش الإسلامي داخل احترابات الثورة السورية على حد تعبيره: «لقد وجدنا أنفسنا أمام داعش، وأمام العودة إلى ما قبل التاريخ الإنساني العاقل» ص56. حيث المباغتة الكبرى لظهورات المتوحش، والإفراط في استخدامه من قبل داعش، وأخواتها كمحصلة لتطبيق شرائع إسلامية ناظراً «مُفكرنا» إلى الأمر دون غيره من الديانات الأخرى مغفلاً في الآن ذاته تقري التوحشات التي استيقظت داخل احترابات عديدة عبر التاريخ والأمثلة كثيرة، وعديدة ما دام الهدف من تفعيل هذا المنحى من وجهة نظر «تيزيني» سياسياً بحتاً، ويخدم فكرة تقوم على معايير وجودية، وأيديولوجية تستلهمان فعلهما من القتل بذاته كحالة قصديه تعود في حضورها إلى المتبقيات النائمة من الوحشية داخل الإنسان على مر العصور، والتي خضعت لمعترك كبير من «الكبت» عبر التاريخ الذي سادت فيه قيم الأنا الأعلى والتحولات الحضارية، والمعايير الاجتماعية الواعية، والمعرفية.

فيقظة المتوحش هنا ليست حكراً على دين أو مذهب بعينه كما أراد الإشارة إليه «طيب تيزيني»، وهنا لا بد من إضافة مسألة لها من الأهمية بمكان، فالحروب الصليبية، وما جرى فيها من تغول دموي كبير اعتمدت مبدأ الذبح، وتقطيع الرؤوس، وتشريح أجساد الأسرى، وهم أحياء كوسيلة لتطهير النفس، والحصول على السلام الأزلي حيث كانوا يسارعون إلى قطع رؤوس أسراهم المسلمين، والقذف بها بواسطة المنجنيق على أسوار المدن التي كانوا يحاصرونها في الوقت الذي لم يتوانَ المسلمون أيضاً في قطع رؤوس أسراهم من الصليبين وتعليقها على الأسوار.

من هنا ندرك أن التوحش حالة كامنة في النفس البشرية، وليست نتاج غائية لاهوتيه بعينها، وأن ما تقوم به داعش ليس أقل دموية، وعنفاً مما يقوم به النظام الأسدي الوجه الآخر للقتل بصورته الجماعية.

قد يكون الإسلام بحلته «الجهادية» داخل أتون الثورة السورية قيمة تعتمد على معايير الغلو الديني، والاجتهاد الدموي العنيف، وهذا ما يمكن أن يحقق لنا رؤية أكثر، وضوحاً والحؤول، والابتعاد عن الفهم القاصر لماهية المناظير التي تبصر الأمور من جهة واحدة دون إدراك أبعاد المشهد المفحوص في تناولات متعددة، ومتنوعة نتحصل من خلالها على تفكيك المشروع الإسلامي المتشدد، والنظر إلى سياقاته التاريخية بصورة أكثر جلاءً، وشفافية بعيداً عن تفتيت منظوماته وبعثرتها بصورة ليست من الدقة بمكان.

3. قانون الاستبداد الرباعي:

على نحوٍ هزيل يتصدى المفكر «طيب تيزيني» للإجابة عن السؤال المتعلق بماهية، وبنية الحامل الاجتماعي السوري، والخروقات التي تعرض لها المجتمع ما بعد الاستقلال، وخروج الفرنسيين، ومن ثم صعود البرجوازية الوطنية، وانكفائها السريع تحت وابل ظهورات الأحزاب الجديدة والتكتلات القومجية المختلفة، والمتنوعة بانياً صروح معاييره الجدلية بما يتفق، وتشريح جثة السلطانية الأسدية المؤلفة من الأب والابن دفعة واحدة من خلال قانون الاستبداد الرباعي الذي ما زال «تيزيني» منكباً على الإمساك، به والتغني بمعاييره الحاذقة والسحرية قائلاً: «وهذا يظهر لنا بحسب الرؤية المنهجية التي نمتلكها ونتمترس بها، أي التي نرى أنها تحقق شرائط البحث العلمي السوسيو- تاريخي» ص48.

إن العودة المتأنية والحصيفة لمكونات قانون الاستبداد الرباعي «التيزيني» الذي تَكوّن من الاستئثار بالسلطة، وشَغَل تطلعات «مفكرنا» في محاولاته المتعددة لحل لغز «الدولة الأمنية» ومتواليات حضورها الفظ داخل سياق تاريخ الدولة السورية الذي امتد قرابة نصف قرن من الزمان تحت حكم السلطانية الأسدية فإنه لم يحقق أبعاده المنهجية ومصداقيتها تحت ما يسمى «القرائن العلمية والجدلية» داخل معايير السوسيو- تاريخي لمكونات السلطة وأدوات حضورها وأن ما اعتقد به «طيب تيزيني» واعتبره كافياً، وشافياً، ووافياً داخل أضلاع مربعه الاستبدادي كمعيار وصفي للسلطة بغية الوقوف على ملامح حضورها، ليس أكثر من تكرار لمنتميات هي في خلاصاتها الاستنتاجية تعود إلى المشترط التفكيكي الأول من منظومتها ليس إلا.

لننظر هنا كيف يسوق «تيزيني» سيولة معايرته التفكيكية، ويصفها بالمربع الاستبدادي: «1- الاستئثار المطلق بالسلطة 2- المال 3- الإعلام 4- المرجعية»، والسؤال هنا كيف يمكننا فهم الاستئثار المطلق بالسلطة دون هيمنته على المال، والإعلام، والمرجعية؟ وهذا ما يزيد الأمر اشتباكاً، ويدفع بالقانون إلى تغيب فاضح لأسسه الموضوعية، وأبعاد مقاربته العلمية، لذا نجد أن السردية المعيارية للقانون تحولت من مفاعيل تفكيكية كأداة معيارية إلى حالة من التشظي والتفتيت تسوقان أنساقاً مغلقةً نتحصل منها على معايير مترهلة ومكرورة بصيغة أو بأخرى.

كما هي الحال أيضاً مع مقاربته ثلاثية الأبعاد، إذ لا أدري كيف أمكن للمفكر «تيزيني» صياغة الأوجه الثلاثة لشرائط أدواته البحثية التي كان قد أطلقها إبان حكم «حافظ الأسد» كتوصيف معياري ومنهجي لتفكيك «الدكتاتوريات» والوقوف على ماهية بنيتها تماماً كما أوردها داخل حواره مع مجلة الجديد التي نحن بصدد الحوار المنشور على صفحاتها ليعيد تأكيد ذات الشرائط السابقة، ويرسم مناظيره وفق تفكيكية المستويات الثلاثة السابقة ذاتها: «1- البنية البسيطة أو المركبة للسلطة 2- سياقها التاريخي المفتوح في سابقه ولاحقه 3- وظائفها المنكشفة والخبيئة» ص48.

وبتقديري أن ثمة التباس داخل أدوات شرائط «تيزيني» البحثية، وأقصد هنا بالتحديد المشروط الأول. إذ ليس من الدقة بمكان أن يتساوى في المفاعيل التفكيكية ما هو بسيط كما هو المركب، فالبسيط حالة التوصيف التي يعتمدها منهج البحث العلمي لتخصيص صورة الإشكالية أي أبعادها الخارجية، أما المركب فهو ما يمكن أن نسميه الأبعاد التحليلية، والعميقة للمشكل أو الإشكالية، وتحصيلاتها الاستنتاجية، هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فإن ما يقدمانه الأخريين من مشروطية «تيزيني» كأداة تفكيكية لا يتعديان حالة وصف ليس إلا لجملة حقائق تاريخية تتحول بالضرورة إلى أنساق مغلقة حين لا يتم تفعيل مضامين أدواتها البحثية.

ذلك ما يجعل أهمية شرائط البحث معاييره مستنبطة من قوانين المشكلة أو المعضلة، وهذا كما أظن كان سبباً كافياً لنكتشف ماهية التفريق بين مرحلتين مختلفتين في أدائهما وطغيانهما وحضورهما على أصعد مختلفة من نشاط الماهية التركيبية للسلطة ومتواليات حضورها.

بيد أن التفريق أو الاختلاف بين مرحلتين من حكم آل الأسد، وقد جاء ذلك على لسان «طيب تيزيني» نفسه فهو يذهب إلى الظن أن مرحلة بشار الأسد مختلفة في جوهرها عن مرحلة أبيه الطاغية الأكبر لدرجة أن مفكرنا الكبير «طيب تيزيني» يؤكد جوهر الاختلاف بين الأب، والابن في حوار أجرته معه صحيفة الرأي الكويتية في 21/ مايو 2011 أي في الأشهر الأولى لاندلاع الثورة السورية قائلاً: «نعلم أن الرئيس بشار الأسد قدم رزمة من الوعود الإصلاحية عند تسلمه سدة الرئاسة، ولكن يا للأسف لم يتحقق التوافق بين الوعود، وما هو قائم على أرض الواقع، وفي وقت كان الرئيس يطبق الإصلاحات سعى الطرف الثالث إلى إفشال هذه التجربة»، وفي مكان آخر من ذلك الحوار ينبري «مفكرنا الكبير» لتأكيد مصداقية الرئيس الشاب، وضراوة الهجمة الشرسة على تطلعاته من قبل الطرف الثالث على حد تعبير «تيزيني» الذي يسهب قائلاً: «خطاب الرئيس الأسد عام 2005 جاء على مستوى الإصلاح الوطني، وتطرق إلى مسائل لها أهمية كبرى لكن تدخل الطرف الثالث عرقل العملية الإصلاحية»، ولكي لا يستغرقنا الانتظار راح «المفكر الكبير» يكشف لنا السر المكنون ويعرفنا على الطرف الثالث اللغز قائلاً: «وهذا الطرف الثالث هو مجموعات من الفئات الفاسدة. في سورية صراع بين القديم، والجديد، وهذا الصراع في شكل لافت اليوم، فالطرف القديم ما زال شديد التمسك بأجندته».

لم يعد خافياً القلق الذي يستغرق مفكراً بحجم «طيب تيزيني» فالرجل حسم أمره مصدقاً ما كانت تشيعه الأجهزة الأمنية إبان ربيع دمشق، وهي محاولة أثمرت مناخاً من الخديعة لتبرئة بشار الأسد في نكوصه عن وعوده المخادعة، وتصوير المشهد السياسي في سورية على هيئة حرس قديم، وحرس جديد، وأن لكل منهما أجندته، وتطلعاته، وأن ما يجري في الكواليس هو حالة احتراب خفي بينهما.

واللافت في الأمر هنا أن تصريحاً من هذا الطراز جاء في وقت كانت شوارع المحافظات السورية محتشدة بالمتظاهرين المطالبين بالحرية والكرامة.

هنا تأتي المفارقة في التحصيلات التي بنى عليها تيزيني مشروطيته ذات الرؤوس الثلاثة لتكون أشبه بمفتاح لكل الأقفال مما أفقدها خصوصيتها وتميزها عن المناظير الأخرى التي عكفت على تفكيك الدكتاتوريات العربية، وفق منهج البحث العلمي الذي يستمد قوانينه الوضعية من معترك المشكلة، ومعانيها الإنسانية داخل سياق أنساق مفتوحة التطلعات والمقاربات، ودون اصطفاف قلق تلاشى في يأسه، وكان لقمة سائغة للغياب، والاندثار.

تدخّل جراحي

عبد الله القصير

أدرك السوريون قبل غيرهم من الشعوب أن تغيير القناعات أمر نادر الحدوث وربما معدوم أيضاً، خاصة إذا جرت كمحاولات عن طريق الإقناع والحوار وتقديم البراهين والأدلة والاستنتاجات والاستقراءات السياسية والإنسانية والأخلاقية والدينية، وتوصلوا إلى حقيقة علمية تنفي أي نجاح في تغيير قناعة أي شخص إن لم يتم ذلك بتدخل جراحي في المخ أو باستخدام أشعة الليزر، هذا الكشف الطبي نال بسببه أحد الجراحين السوريين عدة براءات اختراع وجوائز عالمية، بعد أن أجرى الكثير من التجارب والمقارنات بين تلافيف المخ في رؤوس العديد من الضحايا والقتلى ممن سقطوا في مختلف الجبهات والمواقع، واستحدث طريقة يقوم من خلالها بتعديلات معينة في تلك التلافيف، وعلى أثرها يتخلص الإنسان من قناعاتٍ كان قابعاً فيها كالسجين، ليبدأ مرحلة جديدة بقناعات يختارها من «الكتالوغ» الذين يطلعه عليه الطبيب قبل العملية.

في أحد البلدان المجاورة لسوريا- حيث تقع- شهدتْ عيادة هذا الطبيب إقبالاً غير مسبوق، آلاف السوريين وغير السوريين حجزوا مواعيد عنده، وأنا واحد منهم، عندما وصلت إلى غرفة الانتظار كان قد مضى على حجز موعدي ستة أشهر، غرفة كبيرة فيها سكرتيرة جميلة، وتسعة مقاعد مشغولة بطالبي التغيير، ومثل أي مريض ينتابني قلق كبير من فشل العملية، أصغيتُ للمريض الذي يجلس بجانبي وهو يحدّث جاره في المقعد:

- ابن عمي ودّع أهله بعد أن قرر القتال في صفوف داعش، ولم تنجح كل مساعي عمي في إقناعه بالبقاء، إلى أن وضع له حبة منوّم في كأس الشاي، واعتقله في غرفة مظلمة، إلى أن جاء دوره لإجراء العملية هنا.

- إي، وهل نجحت؟

- هو هووووو.. ذهبت لزيارته فوجدته منكباً في كتابة بحث عن منعكسات إطلاق الحريات في الشرق الأوسط، ووجد لنفسه مكاناً مرموقاً في تيار سياسي فتحه أحد الأثرياء.

لم يكن ذلك الحديث الوحيد الذي سمعته في تلك اللحظات، أحدهم يريد أن ينزع فكرة تمجيده المستمر للجيش السوري «بطعمة وبلا طعمة» بعد أن رفض الالتحاق به عندما وصله تبليغ الخدمة الاحتياطية من شعبة التجنيد، ما اضطره للهرب خارج البلاد دون أن يقلع عن تمجيد «رجال الله على الأرض»، بينما الآخر يعاني من متلازمة «هذه ليست ثورة» منذ أن انطلقت في آذار 2011، هو الآن لا يريد أن يغير قناعته لتصبح «هذه ثورة و600 ثورة»، بل كان يريد أن ينسف هذه الحالة الببغائية من جذورها، فكلما دار حديث بينه وبين أحد ما يقول: «أنا معارض للنظام ولكن يا عمي مو هيك الثورة بتصير؟» معظم ما كتبه على صفحته في فيس بوك كان يتمحور عن هذه النقطة بالتحديد، في الفترة الأخيرة أدرك أن ثمة شيء ما في مخه بحاجة للتغيير، بعد أن ضايقته بعض ردود الأصدقاء واستهزاءاتهم المتكررة.

امرأة شابة جلست في الطرف المقابل، قالت للسكرتيرة إنها تريد أن تغير نظرتها للنظام السوري، وبحسب وشوشاتها فهي لم تترك مسيرة مؤيدة دون أن تكون حاضرة في قلبها وعلى الأكتاف أيضاً، رافعة صورة الرئيس، وهاتفةً حتى تجرّحت حبالها الصوتية: «الله.. سوريا.. بشار وبس»، سألتها السكرتيرة عن دوافعها لتغيير اتجاهها هذا، فقالت لها: «هذا النظام ألقى براميل على مدينتنا بعدد الذين كانوا يخرجون في المسيرات، أحد البراميل قتل زوجي وابني الصغير، بينما نجوت بأعجوبة، ومع ذلك ما زلت غير قادرة على منع نفسي عن حب ذلك الرئيس الشاب، الطبيب المتعلم في بريطانيا، «بحبّه مو بإيدي يا أختي، لذلك جئت إلى هنا»

عندما رن الجرس عند السكرتيرة نظرت إليّ وقالت: «تفضل جاء دورك»، دخلتُ إلى ذلك الطبيب المعجزة خائفاً وخجلاً ومتردداً، جلست على الكرسي بعد إشارة لطيفة منه، وسألني على الفور: «ما الذي تريد أن نفعله بأفكارك وقناعاتك يا عبد الله؟»

- أريد.. أريد أن أغير قناعاتي السياسية

- أكيد.. أنت هنا من أجل هذا، حدثني عن قناعاتك الحالية

- طيب.. أنا معارض للنظام

- تمام.. ولكن هذا لا يكفي، المعارضون أنواع

- أنا أعتبر أن ما حدث هو ثورة، ووقفت معها لأنني على قناعة تامة أننا نحتاج لعدة ثورات وليس ثورة واحدة.. حتى نتحول إلى دولة يعيش فيها مواطنوها باحترام، هذه الفكرة تسيطر عليّ يا دكتور، لا أستطيع أن أقبل ما فعله الجيش والمخابرات بالناس، منذ الأيام الأولى، أقرفُ من كل شخص حدثني عن نساء الضباط اللواتي كان ينوي حمزة الخطيب اغتصابهن، أنا الآن يا دكتور إذا قررت اغتصاب نساء الضباط، إلى أين أذهب؟ هل هنّ مستلقيات في الشارع عاريات ويرفعن أرجلهن للسماء، بانتظار حمزة أو غيره من المغتصبين؟؟ لا أستطيع أن أحاكم معادلة الصراع الآن على أنها حرب بين تنظيمات إرهابية ونظام مجرم، دون أن أقف مطولاً عن الخطة الأمنية التي شاءت أن توصل البلاد إلى ما وصلت إليه، أنا مقتنع أن بلادنا ذاهبة لا محالة إلى هذا المصير الذي وصلنا له، لو لم يكن عام 2011 لكان 2020 مثلاً، لأن المقدمات المنطقية متوفرة بكثرة عندنا، البلاد التي يحكمها ديكتاتور هي بلاد بلا مناعة ولا حصانة.

- طيب طيب.. فهمت عليك، خذ هذا الكتالوغ، تصفحه بسرعة، وحدد القناعات التي تريدها

أخذت الكتالوغ من يده وبدأت أتصفحه، قرأت «مساطر» كثيرة موجودة وخيارات متنوعة وضعت لها شروحات بسيطة تحت عناوين عامة، منها: (بوصلة حسن نصر الله – شعب ما بيمشي إلا بالصرماية – إبادة العلويين – مسح السنة – محارق الأقليات – لا مع هدول ولا مع هدول – بيعجبني كلام هيثم مناع – ضد الدين وبتشتغل مع الإخوان المسلمين – ضد النظام والفساد وأشهد أن فراس طلاس طلع بتيابه – داعشي – جبهة نصرة – ضد الإسلام باستثناء طائفتك – ضد طائفتك ومدّاح للسنّة – ما بتعرف شو بدك – مؤيد للعضم – مع الثورة المسلحة وبدك تمارس اللواطة مع المتظاهرين السلميين – مع الثورة السلمية حتى لو انقتلوا كل جيرانك إلا أهلك- أردوغان وبس – العلمانية اختراع إسلامي – لأنو ما منحب بعض – انتهت الثورة – شاعر غزلي ولا كأنو صاير شي – بكداشي مع حزب الله – ماركسي مع داعش، من جماعة الداخل اللي بيسبوا عالي طلعوا – من جماعة الخارج اللي عم يسبوا عالي بالداخل.....)

وغيرها الكثير من العناوين التي تستحضر قراءتها شعوراً قوياً بالدوار، قال الطبيب:

- ماذا قررت؟

- امممممممم بصراحة محتار.. ولكن أريد «مؤيد للعضم»

- شو السبب؟

- والله يا دكتور لعدة أسباب.. هي نوع من التحدي والفضول وراحة البال أيضاً.. التحدي هو معك، لا أظن أنك ستنجح أن تجعلني مؤيداً، إن اعتمدتُ في تفكيري على البديهيات فقط، فلن أكون مؤيداً، أما الفضول فأريد أن أعرف – في حال نجحت العملية كيف يفكر هؤلاء، أما راحة البال فهي متأتية - برأيي - عن عدم التفكير في حال نجحت العملية أيضاً.

كتب الطبيب وصلاً، حدد فيه موعد العملية بعد أسبوع، أسبوع مضى بسرعة ومضى بعده وبعد العملية ثلاثة أشهر، بالفعل كان الطبيب صادقاً ومحترفاً، عندما رأيت صورة حمزة الخطيب قلت: «بيستاهل لأنه كان يريد اغتصاب نساء ضباط جيشنا الباسل»، في الأول من شهر آب كتبت في عيد الجيش «وطن شرف إخلاص.. والله محيي الجيش الله محيي الجيش»، في الفيديو الذي يطلب فيه عنصر الأمن من امرأة وزوجها تقليد صوت الحمار تعاطفتُ مع العنصر، وقلت: «عراعير كلاب بيستاهلوا»، عندما شاهدت سيادة الرئيس على التلفاز يقول: «نحن لم نستخدم البراميل مطلقاً» قلت: «الكيماوي يليق بكم»، ولما قال حسن نصر الله: «طريق القدس يمر من الحسكة» قلت: «الموت لإسرائيل الموت لإسرائيل».. حين قرأت اسم «زكي كورديللو» بصقت على شاشة اللابتوب، ومسحتها بعد قليل بصدري بعد أن عانقت الشاشة لحظةَ رأيت صورة الفنانة «رغدة» إذ باغتتها استشاطتها الشهرية.

يا إلهي، نجحت العملية!!! خسرت التحدي وأصبحت مؤيداً، لم يكن فضولاً كانت خيانة.. خيانة لنفسي أولاً، ولم أشعر براحة البال أبداً، لم يكن الأمر دعابة أو مزحة، لم تكن تجربة من تجارب الكاميرا الخفية.

عدت إلى عيادة الطبيب مسرعاً، دخلت إليه دون موعد ودون الوقوف في الطابور ودون إذن من السكرتيرة.

- أرجوك يا دكتور، أريد أن أعود كما كنت

- كيف؟

- تقول كيف؟ بعملية ثانية، أنا نادم

- للأسف، لا أستطيع

- لا تستطيع؟؟ لماذا؟؟

- أنا لم أجبرك على اختيار قناعاتك الجديدة، أنت اخترتها، وكل من يقع اختياره على «مؤيد للعضم» نستأصل له كل مراكز التفكير في المخ ولم يتوصل العلم بعد إلى طريقة لزراعتها بشكل ناجح.

صحيفة الحرمل: ثقافية- سياسية- نصف شهرية- تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس
هيئة التحرير: محمد الحاج صالح، خلف الجربوع، أسعد فخري، إبراهيم العلوش، عروة المهاوش
علاقات عامة: محمد صليبي – مصور: إياس المحمد المحتوى الفني: مصطفى سليمان- ديزاين: عبدالرحمن الهويدي
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI:24 YIL: 2015 (1) - İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

WWW.ALHARMAL.COM
للتواصل عبر فيس بوك Facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر Twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني Alharmal.journal@gmail.com
Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa

زاوية حرة

حرب المئة عام
من التخطيط إلى التنفيذ

بسام البليل

ما زال شعار المرحلة ـ في العراق وسوريا على أقل تقدير ـ تقسيم المقسم وتجزيء المجزأ، وإن تعزيز الوجود العسكري الروسي في سوريا ـ مع الأخذ بعين الاعتبار أنه تحرك استباقي لتأمين المصالح الروسية ـ إنما يصب في هذا الهدف، ويسعى إلى منع حدوث تغيرات جوهرية في قواعد الصراع تسرّع في إسقاط نظام الأسد، وتبدد آخر أحلامه في دولة الساحل التي لا زال قادراً على إقامتها.

وإن شجب الرئيس أوباما لهذه السياسة الروسية، ووصفها بالإستراتيجية الفاشلة، إنما هو نوع من ذر الرماد في العيون، واللعب على سياسة النكوص في حال تغيرت السياسة الأمريكية على ضوء المفاجآت غير المتوقعة، والمتغيرات السياسية الدولية، ذلك أن أوباما قد كرّس خلال فترتي ولايتيه الرئاسية أن خطابة لا يتساوق مع الواقع دائماً، وأنه يتهرب من اتخاذ القرارات الصعبة إلى تنفيذ المشاريع السياسية المسبقة التي توافق عليها صانعو الاستراتيجيات الأمريكية، حيث أن ما يشهده الوطن العربي اليوم إنما هو تنفيذ دقيق لمشروع برنارد لويس التفكيكي والذي وافق عليه الكونغرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية عام 1983 والهادف إلى تفكيك الوحدة الدستورية لجميع الدول العربية والإسلامية، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية.

كثيراً ما أثار دهشتنا تصريح بعض السياسيين الأمريكيين القائل بأن الحرب مع داعش طويلة الأمد، وأنها قد تستمر لثلاثة عقود، ولكن هذا ليس كلاماً ملقىً على عواهنه أو نوعاً من التمنيات الأمريكية، وإنما هو هدف قد عملت عليه القوى الغربية، ويدخل في شمول إثارة النزاعات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، ونظرية هنري كيسنجر في حرب المئة عام بين السنة والشيعة التي مضى منها خمسة وثلاثون عاماً منذ أن بدأت مع الحرب العراقية الإيرانية في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، والقائمة على تأجيج الخلاف العقائدي بين السنة والشيعة، وهذا ما يمكّن أمريكا وإسرائيل من أن تفرض هيمنتها على منطقة مجزأة ومشتعلة بالحروب المذهبية والطائفية والإثنية.

إن مقاومة هذا المشروع والمشاريع التفكيكية الأخرى يحتاج إلى أكثر من عاصفة حزم، وإلى التعامل الواعي والمدرك لأهداف القوى الغربية، وإلى تعزيز اللحمة المصلحية أكثر من اللحمة القومية للقوى العربية التي يجب أن تدرك أن الوطن العربي برمته هو الهدف لهذا المشروع، وليس سوريا والعراق فحسب.

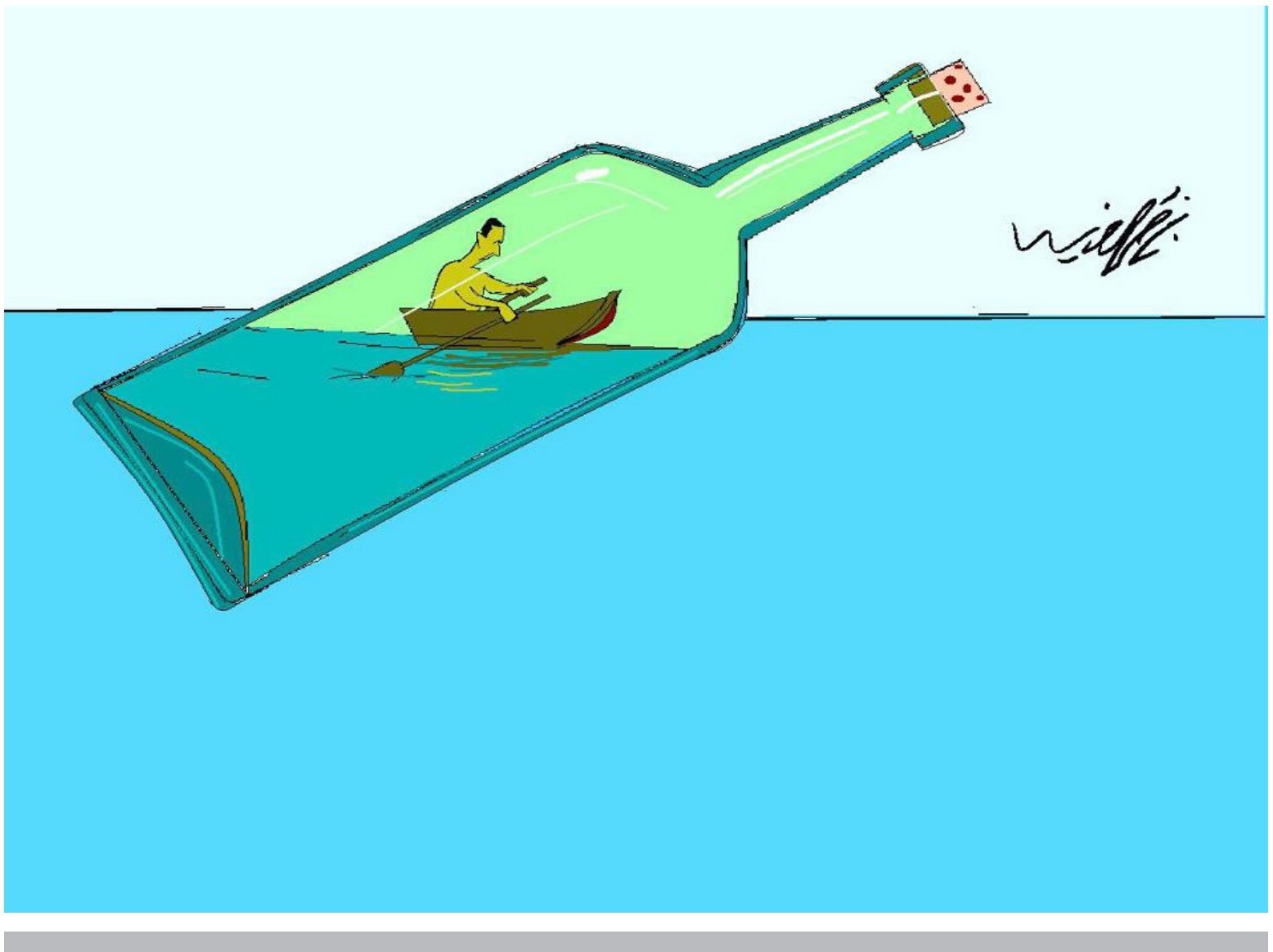

رحيل الفنان السوري حمود الصطاف

الحرمل - خاص

لم يتسنَ لمدينة الرقة أن تودع ابنها الفنان «حمود الصطاف» الذي غيّبه الموت في مدينة اللاذقية بعد معاناة طويلة مع المرض، ولم يتكفل أبناء الرقة بوداعه الأخير، هكذا رحل فنان الرقة المسرحي بصمت ودون ضجيج، وبلا كلمات تشيد بمناقبه ومآثره تُتلى في يوم رحيله.

بدأ الفنان الراحل حمود الصطاف مشواره الفني في عام /1957/ من خلال عرض مسرحيات مقتبسة من واقع الرقة، تم تقديمها في المناسبات الوطنية والقومية، وعرضت أمام مقهى «السرايا القديمة»، منها مسرحية «مهازل محاكم المهداوي»، وكانت من تأليف وإخراج الأستاذ «إسماعيل الحمود»، ومنها أيضاً مسرحية «/23/ تموز الانقلاب على الملك فاروق»، والتي عرضت في عام /1958/ وكان من أبطالها «محمد إبراهيم الخضر» و«عبد الغفور العجيلي» و«طه الناصر المهاوش». كما شارك في افتتاح نادي «الرشيد الرياضي الثقافي الفني»، الذي كان يعتبر آنذاك نقلة نوعية في مجال الثقافة، والنشاطات الأدبية المتنوعة، فلقد كان لهذا النادي العديد من المشاركات الرياضية، ورعاية الموهوبين ثقافياً وفنياً، وعرض فيه العديد من المسرحيات المقتبسة من واقع «الرقة» المعاش آنذاك، ومنها: «الخانجي»، «طبيب في العيادة»، «بدوي في دمشق»، مسرحية «الكسيح»، كما شارك الصطاف في بطولة عدد كبير من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية.

يذكر أن الفنان «حمود الصطاف» من مواليد مدينة «الرقة» عام /1937/، وهو عضو في مؤسسة «الرقة» للإنتاج السينمائي والتلفزيوني والإذاعي والتوزيع، وهو متزوج ولديه ولدين، وثلاث بنات.

المجتمع المدني

وفاء شهاب الدين

صدر حديثاً عن مجموعة النيل العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة كتاب «المجتمع المدني.. المخاطر والآمال» للأستاذ الدكتور أبو بكر الهوش.

ليس المجتمع المدني نقيضاً للدولة أو معادياً لها، بل يصب في مجراها ويدعمها، فإذا كانت دولة ديمقراطية تتمتع بالشفافية واحترام القانون والمؤسسات الدستورية قام التعاون بينها وبين قوى المجتمع المدني. أمَّا إنْ كانت استبدادية ضَعُفتْ أركان المجتمع وتلاشت.

بهذا المفهوم، بدا واضحاً أهمية الدور الذي تضطلع به منظمات المجتمع المدني، ومساهمتها في حل بعض الأزمات الاجتماعية، وانتزاع بعض حقوق الإنسان التي شرعتها الرسالات السماوية، وأقرتها المواثيق الدولية.

وهذا البحث العلمي، يتناول قضايا المجتمع المدني.. نشأته، وتطوره، وجذوره ومظاهره في التاريخ الإسلامي، ودور المجتمع المدني في الإصلاح الاجتماعي، ودوره في التنمية، ودوره في دعم مسيرة الديمقراطية العربية، والعلاقة بين (الدولة) و(المجتمع المدني)! ودور الأمم المتحدة في دعم المجتمع المدني، ومكانة المرأة في المجتمع المدني، وأهداف منظمات المجتمع المدني للطفولة، كما يناقش العقبات والمعوقات التي تواجه العمل الأهلي، والمخاطر الناجمة عن سوء استغلال المنظمات الأهلية، ومستقبل المجتمع المدني في ظل ثورة الاتصالات، والعولمة، والفضائيات، والأفق المفتوح على مصراعيه، ووسائل التواصل الاجتماعي كـ(الفيس بوك)، و(التويتر)، وغيرهما، والتي لعبت ـ وما زالت تلعب ـ دوراً كبيراً في إطار ما أُطْلِقَ عليه «ربيع الثورات العربية»!

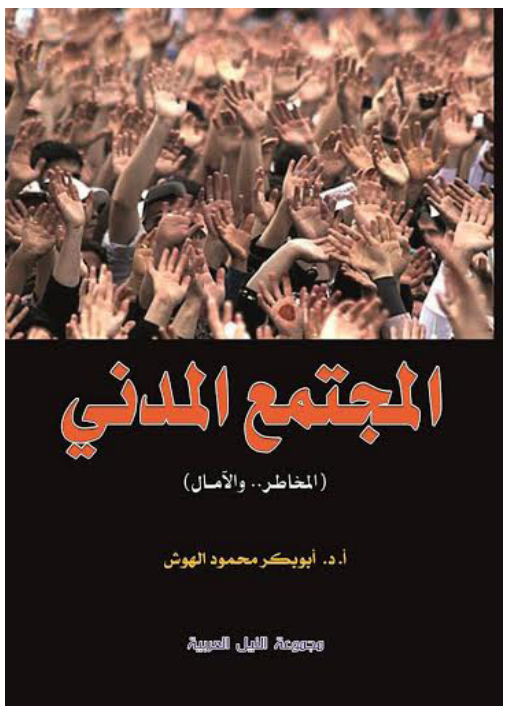

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

آل الحميدي وعموم أهل الرقة في أورفا والمغترب ينعون إليكم وفاة المغفور له:

الاستاذ علي الحميدي «أبو محمد»، الذي وافته المنية في مدينة شانلي أورفا التركية، ونقل جثمانه الطاهر إلى تل أبيض السورية

أسرة صحيفة الحرمل تتقدم بخالص العزاء لآل الفقيد وعموم أهل الرقة في سوريا وبلاد الاغتراب، سائلين المولى عزّ وجل أن يتغمده بالرحمة والمغفرة، ويدخله فسيح جناته.

الحرمل
مجلة الحرمل تدعو المؤسسات والأفراد إلى دعم استمراريتها وإستقلالها، من خلال الاشتراك والإعلان فيها، وذلك بالإتصال على هاتف المجلة رقم: (٠٥٣٩٣١٠٢١٣٣) أو مراجعة مقرها (أورفا - ساحة المدفع)
الآراء التي تنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المجلة
WWW.ALHARMAL.COM
السنة الأولى / العدد الرابع والعشرون / 15 أيلول 2015